الأصول التاريخية للمسلمين فى البلقان

دكتورة / تهانى محمد شوقى عبد الرحمن

كلية الآداب - جامعة أسيوط

المقدمة:

تزامن إعداد هذه الدراسة عن الأصول التاريخية للمسلمين فى البلقان مع فترة حاسمة من تاريخها أثر تداعى النظام الشيوعى العالمى وتفكك دولة يوغسلافيا تبعا لذلك واتجاه ولاياتها نحو الاستقلال وتعزيز القوميات .

وهكذا جاء طرح هذه الدراسه للإمساك بداءة بالخيط الرفيع الذى يربط تاريخ منطقة البلقان منذ الفتح العثمانى لها فى القرن الرابع عشر وبعد سقوط القسطنطينية عاصمة الأمبراطورية البيزنطية وخضوع الولايات المسيحية تباعا للنفوذالعثمانى حتى بداية التراجع لهذا النفوذ وقد اختلف توجه كل منطقة بها نحو الحكام الجدد نظرا لأن منطقة البلقان تعتبر صورة فريدة لتداخل القوميات والعرقيات والديانات المختلفة ليس من الناحية الدينية فقط بل والسياسية أيضا ومنذ وجود الامبراطورية البيزنطية كانت تلك القوميات تتلقى الدعم والتأييد المادى والمعنوى من الدول الكبرى الأوربية فكان الكروات يتطلعون إلى إمبراطورية النمسا والمجر الكاثوليكية ، وكان سلاف الصرب يتلقون الدعم من الامبراطورية الروسية التى كانت تعتبر نفسها حامية الأرثوذكس ووارثة النفوذ البيزنطى فى العالم، وهناك قسم آخر كان يحرص على تجنب الإنضمام إلى الكنيستين الشرقية والغربية رغم الضغوط والإغراءات وهم البچناق أو البشناق أهل البوسنة والهرسك الذين يدينون بعقيدة البوجومالية التى ترفض تاليه المسيح أو عبادة الصليب وغيرها من المعتقدات المسيحية تقترب من الدين الإسلامى نتيجة أصولهم التاريخية فى أراضى الفولجا .

وكانت ولاية الصرب من أقوى ولايات الامبراطورية البيزنطية وتوسعت بالتعدى على جيرانها مترسمة نهج بيزنطة الثقافى و السياسى ومن جماع هذا تأثر هذه المناطق بالنظام العثمانى العسكري بعد حقبة حكم السلاطين العظام وإن استمرت الدولة في المحافظة علي حدودها التي تشمل البلقان وشبه جزيرة المورة وسارابيا والقرم كما ضمت معظم المجر والنمسا وحرص السلاطين العثمانيين علي إرسال اخبار فتوحاتهم وإنتصاراتهم العسكرية في أوربا إلي حكام العالم الإسلامي لإكتساب مكانة معنوية رفيعة حتي حصلوا علي منصب خلافة المسلمين من الدولة .العباسية،كما استند السلاطين فى إضفاء الشرعية على أحكامهم عن طريق فتاوى علماء الدين والمشايخ الذين تمتعوا بمركز متميز فى الدولة الإسلامية .

ونخلص من دراسة أحوال الشعوب المسيحية تحت الحكم العثمانى أنهم وجدوا إمكانية تحرك كبير حتى إنهم فضلوا حكم العثمانيين عن حكم النظام الأوروبى الإقطاعى الذى كان يمتلك فيه الإقطاعى الأرض ومن عليها من البشر بعكس النظام الإقطاعى العثمانى الذى كان طرفا الاقطاع فيه يخضعان للحكم المركزى فى العاصمة استانبول على قدم المساواة ، وكان صاحب الإقطاع دائما مشغولا فى الفتوحات العسكرية أغلب العام تاركا إدارة إقطاعيته إلى سكانها مما خلق لديهم إحساسا بالذاتية ، هذا بالإضافة إلى أن نظام العثمنة لم يفرق بين رعايا الدولة إلا فى مدى كفاءتهم والتزامهم بأحكام الدولة ولم يكن العرق حائلا دون وصول العثمانى إلى أعلى مراكز الدولة فنجد منهم من وصل إلى منصب القيادة العسكرية بل وإلى الصدارة العظمى .

وقد بدأت معاناة الدولة العثمانية من بعض رعاياها المسيحيين أثر إنتهاء الحروب الدينية فى أوروبا ونهاية فترة التنافس الأسرى بين ملوكها

كأسرتى الفالوا فى فرنسا والهابسبرج فى النمسا والمجر وكذلك بعد بداية عصر النهضة الصناعية.

وأخذت النمسا على عاتقها مهمة منازعة الدولة العثمانية رغم المعاهدات المعقودة بينهما لوجود حدود مشتركة ولتداخل القوميات بالإضافة إلى سابق وضعها كحليفة للكروات الكاثوليك ، كما تبنت روسيا التى تقوت عسكريا مع بداية القرن التاسع عشر وخرجت من دائرة كونها دولة شبه آسيوية إلى دولة تنتمى إلى القارة الأوربية واتجهت إلى معاداة الدولة العثمانية بعد أن نجحت فى الحصول على أول معاهدة رسمية بحقها فى حماية أرثوذكس الدولة وإن سعت أيضا إلى حق السدانة على الأماكن المقدسة المسيحية فى فلسطين هذا بالإضافة إلى تطلعها الدائم للوصول إلى المضايق العثمانية والدخول فى المياه الدفيئه بالبحر المتوسط.

وكان اتجاه روسيا ذاك مدعاة لتوجس بريطانيا خشية من منافسة روسيا فى مناطق نفوذها البحرية وأيضا فرنسا التى كانت تدعى حقا قديما فى السدانة على الأماكن الدينية فى فلسطين منذ الحروب الصليبية.

ولما كانت الدولة العثمانية القوية تهيمن على الطرق البحرية وتتحكم فى الموارد الاقتصادية للشعوب المسيحية تكونت العصبة الصقلبية المسيحية بتأييد من البابويه في روما ومن الصرب والجبل الأسود وجزر اليونان وأيضا من الموانى البريطالية التجارية لشن هجمات عسكرية علي الطرق البحرية للدولة العثمانية واستخلاص بعض الولايات المسيحية التابعة لها وكانت ثورة اليونان الرائدة في هذا الاتجاه حتي حصلت علي حكمها الذاتي مما شجع باقي الولايات الأخري علي الثورة وكان افتعال المذابح البشرية بين المسيحيين أحد وسائلها لاستقطاب العالم المسيحي بدفع

حكوماتهم للتدخل لصالحهم لدى الباب العالى رغم اتجاهه الأخير إلي الأخذ ببعض النظم الدستورية الحديثة فى حكمة وإن كان على مضض.

وتمثل حرب القرم ١٨٥٣ -١٨٥٦ بين الدولة العثمانية وروسيا صورة معبرة عن نوعية التنافس الأوربى الدولى . وذلك عندما اشتركت أساطيل كل من بريطانيا وفرنسا إلى جانب الأسطول العثمانى والأسطول المصرى ضد الامبراطورية الروسية رغم وجود اتفاقيات بين بريطانيا وقيصر روسيا ولكن خشية بريطانيا من التفوق الروسى الذى يستند إلى تأييد الصرب فى البلقان دفعها إلى تجاهل معاهداتها مع روسيا.

وإن حرصت بريطانيا على عدم القضاء كاملا على قوة روسيا البحرية لتستمر كقوة ضاربة تهدد الدولة العثمانية وتستنفذ جهودها العسكرية ويذكرنا هذا الدور البريطانى بموقف الولايات المتحدة الأمريكية فى أوائل التسعينات من هذا القرن عندما تدخلت بجانب دولة الكويت لتحطيم القوة العراقية الباغية فى معارك الخليج التآمرية وإن أبقت على وجود حاكم العراق على رأس دولته ليبقى دائما سيفا مسلطا على دول الخليج يتيح للولايات المتحدة الهيمنة عليها سياسيا واقتصاديا كأن الزمن لم يغير أسلوب المستعمر رغم مدى قرن ونصف.

وكانت معاهدة ١٨٧٨التى فرضت على الدولة العثمانية بداية لمرحلة جديدة من التنافس الدولى خاصة بعد ظهور المانيا الموحدة كقوة جديدة واستقلت بمقتضاه الولايات المتحدة المسيحية فحصلت بلغاريا على استقلالها واستولت النمسا على البوسنة والهرسك ، وخضع المسلمون الأتراك لأول مرة لحكم المسيحيين بعد أكثر من ٥٠٠ عاما من إنشاء دولتهم وفى الحرب البلقانية ١٩١٢-١٩١٣ قررت معاهدة بوخارست عام ١٩١٣ حصول رومانيا على إقليم دبروجة الذى كان فى حوزة بلغاريا كما استولى

الصرب على دروار ومونستر من بلغاريا الذين سبق أن اخذتهم من الدولة العثمانية وارتفع الستار عن مجموعة متشابكة من الاتجاهات الاستعمارية والخلافات العرقية والكبرياء القومى والسياسى بين شعوب المنطقة وتخلت بريطانيا عن سياستها التقليدية فى الحفاظ على أملاك الدولة العثمانية مما شكل خطرا على مخططاتها المستقبلية المرجوة فى منطقة الشرق الأوسط واستمرت المسألة الشرقية التى بدأت مع مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ الذى أنهى مكاسب بونابرت على القارة الأوربية واشتمل جدول أعماله على تصفية الإسلام فى أوربا نهجا فى السياسة الأوربية .

وباشتعال الحرب العالمية الأولى وهزيمة الدولة العثمانية تبارى الحلفاء فى تفتيت أملاك الدولة المنهارة وتحديد من هم ورثة الرجل المريض. وجاءت بنود هدنة مودورس ١٩١٨ لتكريس أوضاع الحلفاء ثم قامت معاهدة سيفر اغسطس ١٩٢٠ برسم حدود الدولة ، فلا تمتد أكثر من الأناضول وجزء من تراقيا الشرقية والعاصمة استانبول . وفى معاهدة لوزان ١٩٢٤بين تركيا والحلفاء تم تنازلها عن كافة ولاياتها المسيحية والعربية وسمحت المعاهدة بهجرة الأتراك من البلقان والمسيحيين من دولة تركيا الحديثة ، وضاعت حقوق الأقليات المسلمة تحت الحكم المسيحى الجديد خاصة بعد إعلان أتاتورك شعار سلام فى الداخل وسلام فى الخارج وتجاهل حقوق المسلمين والأتراك لدى حكومات مازالت الضغائن وكراهية العثمانيين تملأ جوانحهم.

وتباينت سياسات هذه الدول فى تذويب الأقليات المسلمة فى مجتمعاتها سواء بالترغيب أو بالترهيب إلى حد القتل الجماعى أو التهجير بالقوة أو بمحاربتهم فى أرزاقهم وأملاكهم ودفعهم إلى تغيير عقيدتهم الدينية حتى يحصلوا على امتيازات الرعية ، ولما فشلوا فى إنهاء الوجود المسلم لديهم سعوا إلى حكومة تركيا لعقد اتفاقيات جديدة لكى يستعيدوا الأتراك

والمسلمين جميعا من البلقان وعندما رفضت الأقليات المسلمة ذلك زاد تعسفهم ولم يختلف نظام الحكم فى البلقان سواء النازى أثر الحرب العالمية الأولى أو النظام الشيوعى بعد الحرب العالمية الثانية وإن عمد الشيوعيون إلى الإعلام عن رفضهم لكل الأديان ولكن التعصب كان عنيفا ضد المسلمين بعكس الأطراف الأخرى فكانوا يخشون غضب الدول الأوربية وخوفها على المسيحيين من الكروات والصرب.

ومن أسف أن الشعوب الإسلامية آنذاك كان أغلبها يقع تحت أنظمة شمولية تقترب من الشيوعية فتجاهلت معاناة المسلمين فى البلقان إلا من بعض أصوات ارتفعت فى باكستان أو تركيا لمناصرة أخوة الدم بدون نتيجة إيجابية .

وبعد انهيار الشيوعية العالمية سعت ولايات البلقان إلى الاستقلال الذاتى وأيدتهاالدول الأوربية حتى جاء إعلان البوسنة والهرسك لاستقلالها فثارت النزاعات العنصرية القديمة وتشابكت المصالح الدولية وقام الصرب تحت شعار إحياء صربيا الكبرى التى تضم أملاك الدولة اليوغسلافية المنهارة بإعلان الحرب على البوسنويين ووقفت الدول الأوربية عاجزة عن التدخل لوقف تعديات الصرب التى يمتلك ترسانة أسلحة دولة يوغسلافيا السابقة فى مواجهة مسلمى البوسنة والهرسك الذين يشكلون ٤٥٪ من عدد السكان وبجانبهم بعض الكروات.

وتكونت عصبة أوربية جديدة لا تختلف كثيرا عن العصبة البلقانية المسيحية التى تصدت للدولة العثمانية فى القرن السابع عشر وتم استرجاع الماضى الذى يمتد إلى نهاية العصور الوسطى وتطبيقه بأسلوب دولى حديث لاقتناص بقايا ممتلكات المسلمين والأتراك فى أوربا ، بل وللتصفية البشرية الكاملة لذلك العنصر .

الفصل الأول

الدولة العثمانية فى البلقان

والدور الأوربى الجديد

فجر الدولة العثمانية :

ينتمى العثمانيون إلى الجنس الطورانى بوسط آسيا وتوطنوا بين ظهرانى التركمان وفيما وراء بحر الخزر كما توطن قسم منهم فى خازندار وفى اذربيجان وآران صوب قفقاسيا وامتزجوا مع قبائل تركية أخرى[١] ، كانت مشتتة فى دويلات قبلية منذ القرن التاسع الميلادى حتى دخل إليهم الإسلام عندما اعتنقه شعب البلغار (الفولجا) أحد الدويلات القديمة فى آسيا الوسطى وتوالى انتشار الإسلام فاعتنقه القرخانيون والسلاجقة والغز ويذكر المؤرخون أن اسم تورك أطلق على الأتراك المكونين لشعوب الدويلات التى سميت بالكولوتورك وكانت اللغة العربية سببا فى نشر كلمة تورك باعتبار أن الأتراك كانت لهم علاقة قديمة مع العرب ترجع إلى ما قبل الإسلام ثم جاء الإسلام ليحدد هوية الأتراك[٢] .

ويمثل العثمانيون أحد بطون قبائل قابى التركية التى نزحت إلى آسيا الصغرى فى الحقبة المعاصرة لدخول السلاجقة الأناضول وتفرقوا فى أماكن عديدة حيث نجد الكثير من قرى الأناضول يحملون اسم قبيلة قابى فى شمال الأناضول وأزربيجان وصوشهرى وفى أقاسيا وجوروم وكره ده بولى وأيضا فى اسكى شهر وجنوب الأناضول وكان السلاجقة يعملون فى توطين القبائل إلى تحطيم التساند القبلى عن طريق سياسة التفتيت ثم توطينهم فى مناطق متفرقة ولذلك فقد حملت العديد من القرى ذات الأسماء مثل قتق وافشار و"بانيدر" " وبايات " وغيرها .

---

(١) محمد فؤاد كوبريلى - قيام الدولة العثمانية - الألف كتاب الثانى ١١٩ ص ١١، ١٩٩٣.

(٢) اكمل الدين إحسان - مقال بعنوان - العثمانية الجديدة إلى أين تتجه تركيا - جريدة الأهرام ، العدد ٣٩، ٦٤.

ولكن بتعين فى بداية بحث ظهور العثمانيين وأدوارهم المختلفة فى إنشاء امبراطورية عظيمة الاتساع والتقدم والتعرض قليلا لأوضاع السلاجقة فى الأناضول التى ساهمت فى مساندة جهود العثمانيين من الجوانب السياسية والاجتماعية .

سواء فى منازلة البيزنطيين بمناطق الحدود حيث كانت المواجهة مستمرة بين الطرفين ولذلك أسسوا تشكيلات عسكرية مثل باقى حكام الحدود الأتراك وقاموا بدور منفصل عن السلاجقة فى محاربة البيزنطيين وكانت مناطق الحدود سواء البرية أو البحرية بمثابة درع واق للسلاجقة فى مختلف مراحل صراعهم مع البيزنطيين.(١)

بالإضافة إلى أن السلاجقة نجحوا فى الاستيلاء على أنطاليا وسينوب وأصبح لهم منفذان تجاريان هامان على البحر المتوسط والبحر الأسود فسيطروا على الناحية الشرقية والغربية منهما .

وقد وقع فى بداية القرن الثالث عشر حادثان خطيران فى المنطقة كان أولهما سقوط الامبراطورية البيزنطية وإسقاط امبراطوريتهم حتى تمكنوا من السيطرة على نيقية وجعلوها عاصمة لهم وقامت أيضا دولة لهم فى طرابزون وإن كان دورهاضئيلا فى أحداث الأناضول بعكس امبراطورية نيقية التى كانت حائلا دون توسع السلاجقة نحو الغرب(٢)، ومحاربة اللاتين المسيطرين آنذاك لإعادة تكوين الأمبراطورية الأرثوذكسية المنهارة.

وقد بدأ استقرار دولة العثمانيين بعد ضعف السلاجقة وانهيار نفوذهم بسبب الغزو المغولى وتهميش دورهم القيادى فى المنطقة منذ أواخر القرن

---

(١) محمد فؤاد كوبريلى - مرجع سابق -ص١٢٠.
(٢) المرجع السابق ص ٦٢.

الثالث عشر تقريبا وهذا على الترجيح هو المنطق الأقرب إلى الصواب فكان تسلسل تلك الأحداث التاريخية وما أدى إليه من نتائج وراء وجود العناصر العثمانية فى منطقة اسكى شهر بعد أن ساندوا سلطانها فى أحد معاركه الحربية مع البيزنطيين فمنحهم جزء من أراضيه[١] ليؤسس منطقة حماية وردع له[٢] من أمراء قونية ومن الأيكانين المغول ومن ثم نشط أرطغرل وبدأ امتداده نحو الشمال الغربى من الأناضول.

وقد تمكن العثمانيون من الامتداد أثناء فترة الهدوء التى سادت بين السلاجقة والبيزنطيين المنهارين نظرا لاختلاف اتجاه النشاط السياسى لهما فالروم استهدفوا اللاتين بينما كان السلاجقة يعادون المغول حتى أن وجودهما على الساحة مشتركين كان يحقق توازنا سياسيا فى المنطقة بل كان تعاونهم الفعلى ضد خطر المغول الذين نجحوا فى السيطرة على امراء الأناضول المستقلين إلا من تبعية دفعتهم إلى التقرب من الحاكم المغولى الجديد ومعاداة بعضهم لبعض ، كما اشتغلت المنطقة بجهود الطرق الصوفية التى استغل رؤساؤها طبيعة الظروف الاقتصادية المنهارة وقيام التنافس بين الحضر والبدو فاتخذوا من الشعارات الدينية أسلوبا للتغلغل والسيطرة وأفادت القوى المحلية من ضعف النفوذ السلجوقى وقامت قوى جديدة مع بداية القرن الرابع عشر أضعفت الإدارة الايلكانية وكان العثمانيون من بين هذه المحليات التى أفادت من نهاية السلاجقة ، وأعدوا أنفسهم لوراثة دورهم فى حماية الوجود الإسلامى بالمنطقة .

كما أدى التوسع المغولى إلى دفع السكان للهجرة من المناطق التى

---

(١) إبراهيم زرقانه - الجغرافيا الإقليمية للعالم الإسلامى ، تركيا - الدراسات الإسلامية ص ٣.

(٢) محمد رفعت محمد حسن حسونة - معالم التاريخ من العصور الوسطى مطبعة مصر القاهرة ج١ ص ٢٢٧.

غزاها إلى أنحاء الأناضول المختلفة وتداخل المغول أيضا فى الكيانات العسكرية التركية بعد ذلك فعمل الكثير منهم فى الجيوش التركية المستقلة وطوال هذه الحقبة كانت هجرات البيزنطيين مستمرة إلى المناطق الساحلية بعيدا عن الأناضول واستولى الأتراك بالتدريج على مدنهم وقراهم بالأناضول.

الجهود العثمانية فى إرساء دولتهم (عصر السلاطين العظماء):

لا يمكن إغفال دور القيادات العثمانية التى تسلمت الأمور وبدايات دورهم فى تأسيس الإمبراطورية التى عاشت أكثر من ستة قرون محتفظة بالسلطنة وراثية بين آل عثمان ونجحت فى تجنب الصراعات الأسرية فى وراثة العرش وهكذا امتدت من بودابست حتى مكة المكرمة ومن مصر العليا حتى البحر الأسود ومن الخليج العربى فى الشرق إلى الجزائر فى الغرب ومن جنوب روسيا فى الشمال إلى السودان فى الجنوب وتوغلت هذه الامبراطورية فى قلب أوربا الشرقية وحكمت المجر قرنا ونصف من الزمان وهددت اسوارفيينا[١] ولم يكن للقب عثمانى أى مدلول قومى فى أرجاء الأمبراطورية بل كان نهجا للدولة فى الإدارة والحكم منذ وفاة عثمان سنة ١٣٢٦ وكان من حظ العثمانيين أن منى جنكيز خان بالهزيمة وبدا فى التراجع عن آسيا الصغرى .

وتدفق العثمانيون صوب أراضى البلقان[٣] وبدأت المواجهة ضد الصرب التى كانت تمتلك مقومات قوة تضعها فى مصاف الوريث

---

(١) ابراهيم زرقانه - المرجع السابق - ص ١٦.
(٢) موفق بن للرجه - صحوة الرجل المريض - مؤسسة صقر للخليج والطباعة والنشر بالكويت ١٥ مايو ١٩٨٤ ط١ ص٤.
(٣) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثمانى ، دار الصيادى ١٩٤٥، ص ٩.

للأمبراطورية البيزنطية لولا السبق العثمانى[١] وكانت الصرب تتبع الامبراطورية البيزنطية وتقع بين مقدونيا والمجر وقد تمكنت خلال ضعف بيزنطة من مهاجمتها وضم مناطق البوسنة والهرسك وكرواتيا والشاطئ الشمالى للدانوب وجعلت من بلغاريا كيانا تابعا لها كما استولت على تراقيا وابيروس التى تقع جنوب ألبانيا ومنطقة سالى وهكذا وصلت الصرب بحدود ممتلكاتها إلى سواحل البحر المتوسط المواجهة لمنطقة كوزوفو وذلك فى عهد ملكها استيفان روستى الصربى سنة ١٣٣١- ١٣٣٥ الذى حرص على اتباع أسلوب الامبراطورية البيزنطية فى إدارة الدولة سياسيا ودينيا وإداريا فأعاد تنظيم الكنيسة الصربية لدعم نظامه الجديد وأبقى على اللغة اليونانية فيها كلغه رسميا للإدارة[٢] ، ومع اتساع الدولة الصربية الجديدة وسيطرتها على مناطق تتبع نبلاء وإقطاعيين وطنيين عجز استفان عن تكوين جيش قوى لمواجهة المقاومة الداخلية لحكمة بجانب استفحال المخاطر الخارجية ضده كما ساهم تعدد الطرق التى تخترق الصرب فى جعله هدفا لغزوات خارجية مستمرة حيث نجد هناك ممرين هامين للتجارة والمواصلات أحدهما يمتد من الشرق إلى الغرب أى من راجوسا"دوبرفنيك" حاليا عبر نهر سوفى بازار ونيس وصوفيا وفيلوبوس " وادرينول" " ادرنة " حاليا حتى يصل القسطنطينية ، والطريق الآخر يمتد من الشمال إلى الجنوب وهو ممر "موراڤا-فادر" ويربط بلجراد ببحر إيجه عند سالونيك وكان مؤدى هذا أن القوى المتآخمة لدولة الصرب وجدت أكثر من مدخل لضرب الدولة الصربية الناشئة ، كما أدى وصول العثمانيين لحدود الصرب إلى إيجاد منطقة عازلة

---

(١) بول كولز ، العثمانيون فى أوربا ، ترجمة عبد الرحمن الشيخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣، ص ٣٠.

(٢) بول كولز ، العثمانيون فى أوربا ، ترجمة عبد الرحمن الشيخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣، ص ٣١.

للقسطنطينية حالت دون سقوطها تحت سيطرة الصرب .

أصبح استمرار بقاء الإمبراطورية البيزنطية رهينا بالصراع العثمانى- الصربى كما وإن استيلاء العثمانيين على العاصمة البيزنطية سيؤدى للقضاء على الصرب وأن القضاء على الصرب كان مفتاحا لغزو القسطنطينية ، ومن هذا المنطلق دار الصراع بين العثمانيين والصرب حتى تمكن أورخان من هزيمة الصرب عند نهر ماريتزا عام ١٣٧١ واستولى على بروصة واتخذها مقرا لحكمه ثم استولى على فيقوميدية ونيقيا[١] ، وأمضى نحو عشرين عاما من حكمه فى تثبيت نفوذه بالمناطق المفتوحة معلنا حركة إصلاحات كبيرة فى البلاد بحيث يقبلون نظريات الأفلاطونية الحديثة ووحدة الوجود وأقوال المتأثرين بها كالسهروردى وابن عربى وصدر الدين القنوى إلا أنهم كانوا محتفظين دائما بالمذهب السنى ولم يقبلوا المذهب الشيعى بأيه صورة تماما كأسلافهم السلاجقة [٢]، وقد قامت الطرق الصوفية وعلى رأسها فى الأصول كانت المولوية والرفاعية والخلوتية بدور مضاد لجماعات الهراطقة ودعت إلى التبشير بالدين الإسلامى وسلكت الطريقة الرفاعية للجانب الشعبى فى إنشاء العديد من التكايا لإعانة الفقراء والمساكين ثم تقاربت مع فرق الأخيان التى استقطبت الصناع والزراع وقد حرصت هذه الفرق الشعبية على السنية وإن تعلقت ببعض التقاليد الوثنية الموروثة وأيضا على عقائد غلاة الشيعة مبسطة على نحو شعبى ويغطى الجميع بغلالة صوفية .

وبالإضافة إلى إقامة النظام العسكرى الجديد نجح أورخان فى إجبار

---

(١) تهانى محمد شوقى عبد الرحمن - رسالة دكتوراه غير منشورة - نشأة دولة تركيا الحديثة ١٩١٨-١٩٣٨ - جامعة المنيا ١٩٨٨ -ص٣.

(٢) محمد فؤاد كوبريلى - مرجع سابق ص ١٥٣.

الملك الصربى لازار على الخضوع للدولة العثمانية عام ١٣٧٤م - ٧٤٥ هـ ودفع الجزية ولا شك أن توسع العثمانيين فى البلقان كان ضرورة أمنية قبل التوسع فى الأناضول ذاتها بالإضافة إلى أهميته لإقرار عمليات التوطين العثمانية المنظمة ولم يكن بغرض التدميروالمعاداة (١) .

وكان من أعظم أعماله المتعددة إنشاء نظام الإنكشارية العسكرى الذى أصبح لفترة طويلة عماد ودرع الدولة العثمانية ومصدر فزع وإرهاب عند الأوربيين ، ويعارض المؤرخ محمد فؤاد كوبرلى مفهوم المؤرخين الأجانب وعلى رأسهم جيبونز فى أن ظهور نظام الانكشارية ووضع نظام الدوشيرمة الذى يجبر أولاد مسيحى البلقان على اعتناق الإسلام واعدادهم عسكريا ليعملوا جنودا انكشارية - كان الغرض منه نشر الإسلام بالقوة ولم يكن يراد به تشكيلا لتقوية الجيش العثمانى محاولا إعطاء مفهوم دينى خالص لنشأة الدولة العثمانية واعتبار أن هذا الاتجاه قد أظهر جنسا جديدا هو الجنس العثمانى ، وما يضعف هذا المفهوم للمؤرخين الأجانب هو أنه طوال الفترة السابقة للعثمانيين لم ينتشر الإسلام فى الولايات المسيحية التابعة للسلاجقة بصورة كبيرة حتى أن الكاتب التركى " الأقسر -أى " أوردفى كتابه " أن الجزية التى كانت تجبى من نصارى الأناضول كانت تكون قسما هاما من إيرادات الدولة وذلك فى القرن الثالث عشر ، وقد عاصر العثمانيون هذه الحقبة التاريخية الهامة ولم يظهر جديد حتى يلجأوا إلى مخالفة أسلافهم فى أهم مبادئ دولة السلاجقة وأسلوبهم فى احترام حرية العقيدة الدينية وعدم فرض الإسلام بالقوة على الرعايا .

ولكن بالنظر إلى الأوضاع الجديدة التى استقرت فى الأناضول بعد

---

(١) محمد فؤاد كويرلى - مرجع سابق ، ص ٣١.

انسحاب الكنيسة الأرثوذكسية من الصدارة الدينية وضعف هيمنتها الدينية بدأ الدخول فى الدين الإسلامى بين النصارى الروم وبخاصة فى الأراضى العثمانية لأسباب سيكولوجية وأيضا للتخلص من التكاليف ، وقد استند المؤرخون الغربيون فى رؤيتهم السالفة إلى البيان الذى اعلنته البطريركية البيزنطية فى نيقية سنة ١٣٢٩-١٣٤٠ بأن حركة الإسلام كانت واسعة إلى حد ما ولا يدعونا هذا البيان إلى تحميله أكثر من مضمونه الحقيقى والمرجح أن نيقية كانت من الدول التى خرج منها الروم بعد انسحاب عاصمتهم إلى بيزنطة حتى أصبحت أغلبية السكان من الأتراك المسلمين ، وقد رد كثير من الترك آنذاك على البيان البيزنطى أن مدنا وقرى كثيرة استمرت على نصرانيتهاوكذلك لم يشر المؤرخ ابن بطوطة فى كتاباته عند مروره بالمنطقة إلى قلة عدد النصارى ، وقد استمسك العثمانيون بالسنية فى عقيدتهم الدينية كأسلافهم وأعانت[١] على تقوية هذا النظام بوجه عام المدارس والطرق الصوفية التى بدأت تتكاثر فى القرن الثالث عشر .

الوحدة الصقلبية ومقاومة العثمانيين :

بدأت جهود الملك الصربى تتجه نحو قيام حلف أوربى - مسيحى للتصدى للعثمانيين ووضحت أهمية إيجاد مقاومة مشتركة وتعاون بين الصرب والبوسنة ، وسعى الملك لازارإلى التقرب لأمراء الصرب المعارضين لحكمه ولتوسعاته السابقة ونجح فى إيجاد تحالف عسكرى معهم ومع تفرنكو ملك البوسنة وضم أيضا جيش الحلفاء جنودا من البلغار والأرناؤوط واشترك ملك البلغار بنفسه فى ذلك الجيش وكان هذا بداية لما عرف بالوحدة الصقلية واستهدف الجميع رغم خلافاتهم المزمنة طرد العثمانيين

---

(١) محمد فؤاد كوبريلى - مرجع سابق ص ١٠.

من الأناضول ، ومن الجانب الآخر نجد أن السلطان مراد الأول الذى تولى بعد أورخان وحكم حوالى ٢٩ عاما وانتقلت العاصمة فى حكمه إلى أدرنة التى استولى عليها من البيزنطيين - نجده ينتهج سياسة التفرقة بين عناصر هذا الاتحاد الصليبى بأن يستميل بعضهم بالترغيب مرة وبالترهيب أخرى بالإضافة إلى التحرك العسكرى لمواجهة ذلك الحلف والزحف نحو بلغاريا والاستيلاء على عاصمتها طرقونا بعد أن فر ملكها إلى نهر الطونة (الدانوب) وأقام بقلعة حصينة واستمر مراد الأول فى مطاردته حتى أعلن انقياده للدولة ونجحت الضربة العثمانية الأولى نحو الوفاق الصليبى- الصربى وحرص مراد على إيجاد علاقة متسامحة مع ملك البلغار فعينه واليا عثمانيا على بلغاريا(١) .

ورغم ذلك تكون تحالف مسيحى جديد بتحريض من البابا أوربان الخامس تحت رئاسة لايوشى الأول ملك المجروأوروش الخامس ملك الصرب وتفرتكو ملك البوسنة والأمير باسارت والأمير لا يكون من الرومانيين لمحاربة المسلمين ، واتجه جيش التحالف نحو أدرنه عاصمة الدولة العثمانية آنذاك بقوات تبلغ من ٦٠ ألف إلى ١٠٠ ألف مقاتل وتصادف فى تلك الأثناء مرور قوة عثمانية استكشافية بقيادة الحاج إيلى بك(٢) ورغم قلة عدد هذه البعثة فقد باغتت الجيش المسيحى بهجوم ليلى مفاجئ آثار عنصر المفاجأة فيه الفزع بينهم فراحوا يضربون بطريقة عشوائية وغرق منهم من حاول الفرار فى نهر متريج، واستطاع ملك المجر النجاة بصعوبة ، وأسفر ذلك النصر العثمانى عن الوجود الفعلى للعثمانيين فى البلقان بعد هزيمة الجيش المسيحى المشترك وتوغلت الجيوش العثمانية حتى وصلت فى أوربا

---

(١) محمد حرب - البوسنة والهرسك من الفتح حتى الكارثة- مرجع سابق ص١٤.
(٢) محمد حرب - مرجع سابق ص٧.

إلى صوفيا . وقد قتل السلطان مراد بعد الحرب على يد صربى طعنة بخنجر مسموم [١] وأنهى الانتصار العثمانى تماماالوضع المستقل للصرب ، ثم بدأ غزو الإفلاق والبغدان والأرناؤوط واليونان والبوسنة .

وتولى بعد مراد ابنه بايزيد الأول (الصاعقة) سنة ١٣٨٩ وقاد الجيش العثمانى ضد الحملة الصليبية التى شاركت فيها قوات من المجر وفرنسا وانجلترا وبولنده وكل من ممالك اسكندنافة داراجون وفاسليا وفرسان القديس يوحنا فى رودس بقيادة ملك المجر وهزمهم بايزيد الأول وأرسل الأسرى إلى العاصمة العثمانية وسارع ملك البوسنة بعرض دفع الجزية تزلفا كما توغلت جيوش بايزيد الأول الذى حكم الفترة من ١٣٨٩ حتى ١٤٠٢ وأخضع بلغاريا تماما[٢] ، وحصل بايزيد أثناء حكمه على لقب سلطان عن طريق السلطان البرقوقى المملوكى من الخليفة العباسى فى القاهرة ، وأصبحت الإدارة العثمانية سلطنة وكان هذا تتويجا شرعيا لواقع العثمانيين[٣] ، إلى أن تعرضت بلاده لغزو التتار بقيادة تيمورلنك وهزم فى موقعة أنقرة التى وقعت فى ٢٨ يوليو ١٤٠٣ بعد أن تقابل الفريقان العثمانى بقيادة بايزيد الأول والمغولى بقيادة تيمورلنك ، ووقع بايزيد أسيرا فى قبضة تيمورلنك ولم يلبث أن توفى فى الأسر[٤]. ولكن تهيأ للعثمانيين فرصة النجاح مرة أخرى بعد وفاة تيمورلنك ستة ١٤٠٥ وتولى محمد الأول الذى حاول غزو المجر ولاقت جيوشه هزيمة بحرية من البنادقة وتعرضت البلاد

---

(١) محمد حرب - مرجع سابق ص ٤٩.

(٢) محمود متولى - الأمبراطورية العثمانية وعلاقتها بمصر منذ منتصف القرن التاسع عشر- القاهرة ١٩٨٠ ص٢٣.

(٣) عبد العزيز محمد الشناوى - الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها - مكتبة الانجلوالمصرية - القاهرة ١٩٨٠ج١ ص ٤٨.

(٤) محمد كمال الدسوقى - الدولة العثمانية والمسألة الشرقية - دار الثقافة والنشر ، القاهرة ١٩٧٦ ج١ ص ٣٨.

العثمانية فى تلك الفترة لبعض الفتن والثورات الداخلية ولكنه مكن من السيطرة عليها[١] ، ولا شك أن الدمار الذى حل بالعثمانيين فى آسيا الصغرى أدى إلى تأجيل فتح القسطنطينية ، وانتهزت أوروبا تلك الكبوة لكى تعيد تنظيم قواتها المتحالفة وبالفعل تقدم اسكندر عن البانيا وجون هينادى عن المجر للوصول إلى القسطنطينية وفك الحصار العثمانى لها ولكنهم هزموا فى قوصوه (كوسوفو) وتمكن العثمانيون من إعادة حصار العاصمة مرة أخرى سنة ١٤٤٨ حتى تم سقوطها سنة ١٤٥٣وتمت السيطرة العثمانية على البحر الأسود وبدأت استراتيجية جديدة للدولة العثمانية إذ كان لفتح القسطنطينية دلالته السياسية والدينية لوقوع تلك العاصمة فى منطقة استراتيجية هامة فى أوربا كعاصمة للكنيسة الأرثوذكسية الشرقية وإن كان الصراع التقليدى بينها وبين الكنيسة الكاثوليكية البابوية أحد العوامل الهامة لسقوطها فى أيدى العثمانيين على السلطان محمد بن بايزيد الثانى الملقب بالفاتح وقد اتسم عهد السلطان محمد الفاتح بسمات العظمة العثمانية والتوسع فى استخدام الأسلحة الحديثة وكان له اسطوله الذى يقدر بمائة وعشرين سفينة وأكثر من ستين عبارة لنقل الجنود و١٤ بطارية مدفع وبلغ عدد الجيش الذى هاجم القسطنطينية ٢٥٠ ألف جندى وقد استمرت معارك الفتح تلك حتى مقتل باليو لاجاس امبراطور البيزنطيين وقائده جيستنيان [٢] ، وأطلق على القسطنطينية اسم استنابول أو اسلامبول" أى دولة الإسلام "ولا شك كان لهذه الانتصارات أثر معنوى رائع ليس عند العثمانيين فحسب بل لدى كل الشعوب الإسلامية التى قدرت

---

(١) محمد حرب - المسلمون المفترى عليهم - مجلة العربى الكويتية ، العدد ٢٤٤ مارس ١٩٧٩ص٣٩.

(٢) محمد غنيم - لب التاريخ . ١٣٧٧ هص ١٧٤.

تماما هذه الخطوة الهامة للعثمانيين وما تبعها من جهود فى إتمام إخضاع بلاد المورة والصرب والبوسنة .

البوسنة والسيطرة العثمانية :

حدث أن رفض ملك البوسنة دفع الجزية المقررة عليه للعثمانيين بل وقبض على وسلمهم وزج بهم فى السجون ، وكان محمد الفاتح يسيطر آنذاك على سواحل البحر الأسود وعلى التجارة النشطة اليونانية والجنوية وإزاء ما حدث من ملك البوسنة سارع محمد الفاتح على رأس جيش مكون من مائة وخمسين ألف مقاتل وفتح عاصمة البوسنة " قلعة باتشا" وأعدم ملكهم لتحريضه القوى الصربية ضد العثمانيين(١) .

وبعد تولى سليمان المشرع الحكم قام بالهجوم على جزيرة رودس عام ١٥٢٢ وطرد فرسان القديس يوحنا منها الذين أخذوا على عاتقهم منذ نهاية الحروب الصليبية مهاجمة سفن المسلمين وعرقلة مواصلاتهم التجارية- البحرية وكانت القرصنة وسيلتهم إلى الغنم والتكسب فأراد السلطان سليمان المشرع أو القانونى " توفير مناخ يساعد فى نجاح حركة التوسعات الجديدة حيث تمكن من فتح بلجراد فى العام التالى وغزو المجر ثم تقدم فى غزوه من الدول الأوربية فقد تميز هذا السلطان بجانب مجهوداته العسكرية بأنه كان رائد نهضة أدبيةوعلمية من أسمى ما عرفه الترك فقد اقترن هذا وتزامن مع عصر النهضة فى أوربا بعد ظهور الدول القومية ونهاية عصر التشرذم الإقطاعى والانتقال إلى صور التراكم الرأسمالى أساس البورجوازية آنذاك كما بدأت تنسحب الهيمنة الدينية البابوية واشتعلت الصراعات الأسرية الملكية على القارة الأوربية خاصة الصراع

---

(١) بول كولز - مرجع سابق ص ٣٢.

بين أسرة البوربون الحاكمة فى فرنسا وأسرة الهابسبرج فى الإمبراطورية المقدسة فى النمسا والمجر وانتهت الحروب الإيطالية بينهما بظهور مبدأ التوازن الدولى ، ووصل ذلك العداء الأسرى إلى مداه أثناء الحروب الايطالية والتى استمرت فى عهد ثلاثة ملوك فرنسيين حتى أنه عندما أسر الإمبراطور الأسبانى شارل الخامس الملك فرنسوا الأول لجأت والدته إلى السلطان العثمانى سليمان المشرع لكى يقوم بمهاجمة الامبراطورية النمساوية خاصة وأنها كانت تهاجم رجال البحر المغاربة فى الحوض الغربى للبحر المتوسط ومن ثم انطلق السلطان حتى وصل إلى أسوار فيينا مستعينا بالميناء الفرنسى طولون الذى منحه له الملك ليكون قاعدة عسكرية أثناء ضرب الجيش النمسوى وقام بين السلطان والملك فرنسوا الأول اتفاقات تجارية على شكل تحالف دفاعى هجومى بين الدولتين واشترك الحليفان فى مهاجمة امبراطورية أسبانيا فى سواحل مملكة نابولى التى كانت أحد ممالك شارل الخامس عدوهما المشترك.

كما كان التنافس الأسرى الأوربى متزامنا مع الثورة الدينية فى أوربا والتى بدأت فى المانيا بقيادة المصلح الدينى مارتن لوثر حتى أن الملك فرنسوا الأول الكاثوليكى الذى لم ينس هزيمته فى إيطاليا شجع الثوار الألمان البروتستنت على تحدى السلطة الحاكمة بالمساندة العسكرية، وقد ساهمت هذه الأحداث فى تكريس نجاح العثمانيين وإن لم يستغل هؤلاء ذلك المناخ الانقسامى فى أوربا بصورة أشد حيث كان العثمانيون يحاصرون النمسا ولم يرفع الحصار عنها إلا عام ١٥٣٠ بعد تضحيات كبيرة[١] .

---

(١) عبد العزيز سليمان نوار - زكريا سليمان - علي عبد اللطيف - تاريخ أوربا الحديث والمعاصر - نسخة تجريبية - مكتبة التربية والتعليم - طبعة ١٩٨٧-١٠٩٨٨ ص ٤٥.

وقام مارتن لوثر صاحب الثورة الدينية البروتستينية فى ألمانيا بمعاداة العثمانيين ووصفهم فى كتاباته بأنهم السخطة الخاتمة التى أنزلها رب غضوب على الشعب المسيحى كما رأى فيهم تحقيقا لنبوءة حزقيال القديمة التى قال فيها " سوف ينطلق الشيطان من سجنه" وقامت الدعوات الإصلاحية بالربط بين مظالم الكنيسة وبين الدعوات التحررية من الحكم العثمانى الذى رأوا فيه سببا للآلام والقسوة في الحياة[١] ، وتحقيقا لنبوءة القديس يوحنا " نأتى بأسود الأمم ليتمكنوا من دياركم" رغم ما فى هذا الاتجاه المعادى من تجنب للحقيقة ، وقد نظرت أوربا إلى الفتوحات العثمانية كحركة إسلامية توسعية فزالت فكرة معاداة العروبة التى كانت مسيطرة منذ فتح طارق بن زياد الأندلس وحل محلها فكرة الإسلام وأصبح لفظ مسلم مرادفا للفظ تركى كما تعلقت أفئدة المسلمين بالدولة العثمانية كخط دفاع ضد العالم المسيحى .

الحكم العثمانى فى البوسنة :

أصبحت البوسنة والهرسك ولايتين عثمانيتين بعد فتح محمد الثانى الذى أعلن فى نظام حكمه حرية ممارسة العقيدة الدينية وأنه لا إكراه لفرض العقيدة الإسلامية على بالرعايا المسيحين مترسما للأسس القديمة فى نظام العلاقات بين المسلمين والنصارى منذ عهد السلاجقة والدانشميدين الذين كانوا يسوون بين رعاياهم فلم تقم بينهم خصومة رغم وجودهم فى مناطق تتجلى على جانبيها الخصومة بين الترك والبيزنطية حتى ليقرر المؤرخون البيزنطيون أن الروم الذين كانوا يعيشون فى مناطق الحدود كانوا يعقدون علاقات تعاون وصداقة مع الأتراك ضاربين صفحا عن أوامر

---

(١) بول كولز - مرجع سابق - ص ١١٤.

الإمبراطورالبيزنطى بالإضافة إلي توافر نفس الظروف الاقتصادية والاجتماعية التى عاش فيها الطرفان [١] ، ولذا وجدنا على مر ذلك التاريخ دخول العديد من البيزنطيين فى الدين الإسلامى سواء من الأسرة البيزنطية العليا كأسرة كومنيين أو من الصناع والحرفيين أو حتى من كبار المتصوفين الذين تحولوا هم أنفسهم إلى الدين الإسلامى أو تحول أباءهم من قبل ، ولذا كان تلقى أهل البوسنة والهرسك لواقع الحكم العثمانى مختلفا عن شعوب البلقان الأخرى ، فقد كان لهم منذ القدم عقيدة دينية تسمى البوجومالية (Bogomall) وكانت لهم كنيسة خاصة ولذا فقد عانوا الكثير من غضب البابوية الغربية وأيضا الكنيسة الأورثوذكسية الشرقية الذين سموهم بالهراطقة . وقد قاوم البوجوماليين كافة الضغوط لجذبهم للحظيرة المسيحية[٢] ، وتتميز البوجومالية فى الكثير من جوانبها بالتقارب مع العقيدة الإسلامية فكانوا يرفضون تقديس البشر وعبادة الصليب والعديد من الطقوس المسيحية كالتعميد بل كانوا يرون فى العقيدة المسيحية دين شرك[٣] وقد يرجع ذلك إلى أن قبائل البوشناق الذين يشكلون سكان البوسنة والهرسك هم البچناقى الفولجا الذين وصلوا إلى القسطنطينية وحدود إيطاليا منذ القدم وقد حرف الروس كلمة بجناق التركية فقلبوا الجيم الفارسية ذات الثلاثة نقاط إلى شين ، وهكذا تم تحريف اسم هذا الشعب فأصبح البوشناق والمعروف أن البچناق والبلغار أسلموا منذ العصر العباسى ورحلة ابن فضلان ٣١٠هـ الذى أوفده الخليفة العباسى ليعلمهم أمور دينهم ويتسائل الدكتور / محمد حرب فى كتابه المسلمون فى آسيا

---

(١) محمد فؤاد كوبريلى - مرجع سابق ص ١٣٢.
(٢) بولكولز - مرجع سابق ص ٣٤.
(٣) محمد حرب - مرجع سابق ص ٢٢.

الوسطى والبلقان عما إذا كان الدين الإسلامى قد انتقل مع البلغار إلى بلغاريا ومع البوشناق إلى البوسنة ؟ ويمكن القول بأن مبادئ الإسلام ربما لم تستقر بصورة واضحة عند هذه الشعوب طالما كانوا قبائل رحل وجنودا مرتزقة في جيش بيزنطة فتدخلت عوامل أخرى في تكوين عقيدتهم كما وأنهم كانوا بالفعل فى موطن قديم للإسلام مركز ثقله فى تركستان الروسية وتركستان الصينية ، ففى الأولى كان المسلمون ينتشرون شمال الفولجا وجنوبه ومن جنوب روسيا الأوربية شمال البحر الأسود والقرم فى مناطق غير بعيدة عن الحدود الشمالية لجمهورية كزاكستان السوفيتية الحالية وفى الثانية فى تركستان الصينية " سينكيانج حيث كان ممر زونجبار الشهير ممر الإسلام جنوب الصين مثلما كان ممرا للهجمات التترية والمغولية علي غرب آسيا وشرق أوربا كما كان طريق الحرير على تخومها الجنوبية طريق الإسلام الآخر وبعد المسلمون انثولوجيا بدرجة أو بأخرى إمتداد عبر الحدود لكثير من شعوب تركستان الروسية وقد سبقت العلاقات التجارية بين العرب والصين العصر الإسلامي بكثير[١] ، بالإضافة إلى وجود جاليات للتجار العرب فى مدن الصين – وقد دعم هذا الاتجاه للمؤرخين أسباب الصراع الطويل بين أهل البوسنة والقيادات الدينية المسيحية فى أوربا وبيزنطة وسرعة التقارب الذى تم بين البوسنويين والفاتحين العثمانيين فدخلوا الإسلام بصورة جماعية ليس لها نظير في كافة شعوب البلقان بالرغم من تماثل النظم العثمانية المتبعة فى حكم الولايات المفتوحة ، كما ساعد احترام الحكم العثمانى الإسلامى للملكية الخاصة طبقا للشريعة الإسلامية فاحتفظت الارستقراطية البوسنوية التى اعتنقت الإسلام

---

(١) جمال حمدان – العالم الإسلامى المعاصر – عالم الكتب ص ٣٧.

بأوضاعها الاجتماعية القديمة كما وضح أيضا الفارق الكبير بين الإقطاع العثماني الحربي الذي كان يمنح المقاتل أو السباهي إقطاعا بدون ضرائب ترغيبا في الانضمام إلى الجيش وكان الإقطاعي أثناء تغيبه في مهامه العسكرية لا يترك نائبا في إدارة أملاكه حتي عودته إذا قدر له أن يعود مما ساهم في تمتع أهل الإقطاعية بمباشرة أحوال معيشتهم وخلق مجالا لتطور الحكم الذاتي في تلك الإقطاعيات علي نقيض ما كان يحدث في الإقطاع الأوربي حيث لم يكن الإقطاعي يغادر مقره ولا يسمح للفلاحين بممارسة أي حق في تسيير أمورهم الخاصة. وهكذا صادف العثمانيون ترحيبا من النبلاء البوسنويين ومن فلاحيهم أيضا، وكانت الإدارة المركزية في العاصمة استانبول تفصل بهيئاتها المختلفة في شئون الأقاليم وإلغاء سلطة محاكم الإقطاع التي إنتشرت في إقطاعيات أوربا [١] ، ولم تشكل مسألة الجنس أو الإنتساب أي عائق في مسار تقدم المواطنين فشغل أكثر من بوسنوي منصب الصدارة في الحكومة العثمانية وأيضا من الألبان وغيرهم. وبالنسبة للجانب الإقتصادي انحسرت الأهمية التجارية عن بعض المناطق الإستراتيجية الموصلة بين الشرق والغرب كمنطقة راجوسا أصبحت لا تشكل إلا شريطا ضيقا حافظت على بقائه بالخضوع والتقرب للسلطان وفي المقابل اكتفى العثمانيون بجباية الضرائب فقط بعد انحسار أهمية البندقية وخطرها على المنطقة واستقرار العثمانيون بالبوسنة والهرسك[٢] ، كما لم تشكل الطوائف المسيحية لها أية مشكلة فترة قوة الدولة فكان التسامح والتعايش السلمي يكفل للجميع المواطنة كاملة حتى بدأ تأسيس القوميات ومطالب الأقليات الدينية يتضح فيما بعد متخذا من نظام الملة في الدولة

---

(١) بول كولز - مرجع سابق ٥٩.
(٢) بول كولز - مرجع سابق ١١١.

الذى يوضح إطار الحكم على أساس الدين لكى يخلق بذور الطائفية[١] . وكان الدين الإسلامى يشكل بعدا من أبعاد السياسة وعنصرا فى تركيب القومية ، فباسم الإسلام ساند العثمانيون شمال أفريقيا فى كفاحهم ضد الأسبان . وكان سقوط القسطنطينية معقل الأرثوذكسية وراء التحول الجماهيرى نحو الإسلام فى البوسنة[٢]، وإن أبقى العثمانيون من باب التسامح الدينى على الكنيسة البوشناقية ومن باب التسامح أيضا جلب محمد الفاتح الكثير من الكاثوليك المحاربين إلى البوسنة للإشتراك فى تعميرها بمقتضى قانون "عهدنامة " ولولا ذلك لما بقى فى البوسنة غير المسلمين[٣]، وأقام العثمانيون فى البوسنة كعادتهم فى البلاد المفتوحة المسجد والمستشفى والمدرسة والسوق والحمام. واتخذوا من سراييفو أى « بوسنة سراى» عاصمة بوسنة سراى" عاصمة للبوسنة كما أطلق عليها العثمانيون وأقاموا بها الكثير من المساجد والآثار العمرانية فارتفع مستواها الحضارى وأقيمت بها المنشآت التعليمية كمدارس خسرو باشا ومن المدن الهامة نذكر طوزولا.

وبالنسبة للهرسك أو هر سكوفين والتى كانت تسمى أيضا دوقية «سانت ساباس» فقد فتحها محمود باشا الصدر الأعظم الذى قاد بعض الحملات حتى قدم دوق الهرسك " ستيفان قصارتيس " ابنه الصغير رهينة للدلالة علي انقياده لذلك تركه العثمانيون فى موقعه وعين ابنه فى معية السلطان الفاتح فأسلم وسمى نفسه أحمد ثم أصبح لقبه هرسك زاده أحمد

---

(١) جمال حمدان - مرجع سابق ص ٧٠.
(٢) بول كولز - مرجع سابق ص ٣٤.
(٣) محمد حرب - البوسنة والهرسك من الفتح حتى الكارثة - مرجع سباق ص٢٣.

باشا وأصهر للأسرة العثمانية الحاكمة كما أصبح صدر أعظم بعد ذلك[١].

هذا وقد اتبعت الدولة العثمانية أسلوبا فى الردع سواء فى الروملى أو فى الولايات الشرقية بإرسال حملات تأديب من المناطق المجاورة حتى لا يتم تقارب بين الجهات المختلفة [٢] .

التنافس الأوربى حول أملاك الدولة العثمانية :

سار التنافس الدولى فى محورين رئيسيين بقصد السيطرة على البحر المتوسط والأسود تحقيقا لأبعاد استراتيجية الدول العظمى ، فقامت امبراطورية النمسا والمجر منذ البداية بدور هام فى التصدى لتوسعات الدولة العثمانية وكان دورها ذلك من أهم أسباب بقاء تلك الإمبراطورية المتهالكة وعوامل الضعف والصراعات الدستورية بداخلها ، بالإضافة إلى تنافسها مع غيرها من الدول الأوربية واشتمالها على قوميات وعرقيات مختلفة ومتعادية ، فكان موقعها على الحدود الجنوبية والشرقية لأوربا يمثل خط دفاع استراتيجى هام لأوربا ودارت الحروب بين العثمانيين وأمبراطور النمسا سجالا حتى تم عقد اتفاقية عام ١٥٤٧ تتكون من ١٦ بندا بعد أن أحرزت النمسا بعض الانتصارات وتعهدت بتأمين المناطق المتاخمة للأراضى العثمانية[٣] لمنع التوسع الروسى وكان الروس يعلنون حقهم في حماية الأرثوذكس باعتبارهم ورثة الأمبراطورية البيزنطية[٤] السابقة ، كذا أعلنت النمسا حمايتها علي الكاثوليك ونافست فرنسا فى هذا المطلب التاريخى الذى طالما أعلنته فرنسا منذ الحروب الصليبية فى الشرق

---

(١) محمد حرب - البوسنة والهرسك من الفتح حتى الكارثة - مرجع سابق ص ٢٤.
(٢) بيير رينو - مستقبل الشرق الأوسط - المكتب التجارى للطباعة تعريب نجده طاهر ص ١٠.
(٣) محمد حرب - مرجع سابق - ص ٢٩.
(٤) محمد محمود السروجى - مصر والمسألة الشرقية - مطبعة المصرى ص١٦.

الإسلامى - وأصبح المحور الدينى أحد صور التنافس الدولى فى الأراضى المسلمة وهكذا كانت فرنسا تعارض كلا من الروس والإنجليز كما كانت النمسا تعارضهم وتعمل على خلق مناطق آمنة لها فى البوسنة والهرسك[١] .

ومن ثم بدأ التمزق التدريجى للأمبراطورية العثمانية وسيطرتهم على أوربا البلقانية من الخليج الفارسى حتى المحيط الهندى وعلى ضفافه الجنوبية فالروس لهم حق حماية الأرثوذكس منذ عقد معاهدة كوتشك كينارجى عام ١٧٧٤ التي اعترفت فيها الدولة العثمانية بحقهم فى حماية الكنيسة الأرثوذكسية فى العاصمة العثمانية[٢] وسعى الانجليز للسيطرة على الطرق المؤدية إلى امبراطوريتهم فى الهند ومن ثم السيطرة على الجزء الذى يفصل البحر المتوسط عن المحيط الهندى خاصة بعد قيام الثورة الصناعية العالمية والتغيير الجذرى فى الهيكل الصناعى وكانت دولة روسيا تمتد جغرافيا فى آسيا وفى أوربا ومع نمو القوة الروسية فى بداية القرن التاسع عشر بدأت تخرج من إطار كونها دولة شبه أسيوية إلى دولة تنتمى إلى القارة الأوربية سيما فى عهد القيصر بطرس الأكبر وخليفته كاترين الثانية ووجد حكام أسرة رومانوف فى هذا المنطلق طموحا ينبغى تحقيقه بإزالة الطرق المسدودة أمام الاتجاه للخارج . وتمثلت أولى العقبات فى سيطرة السويد على ساحل البلطيق وأيضا بولنده كانت بدورها تعرقل اتصال روسيا بوسط أوربا ، أما البحر الأسود فكان بحيرة عثمانية مغلقة ، فكان علي بطرس الأكبر فتح الطرق عن طريق معاداة ملك السويد أو بولندة أو الدولة العثمانية فاختار العمل ضد الأتراك حتى يمكنه الإفادة من إيقاظ

---

(١) البشير السباعى - تاريخ الدولة العثمانية - مترجم عن الفرنسية ص ٥.
(٢) على حسنى الخربوطلى - أضواء جديدة على تاريخ العالم الإسلامى - معهد الدراسات الإسلامية - القاهرة ١٩٧٩ - ص ٩٥ -٩٧.

الروح الوطنية والدينية لدى الروس الأرثوذكس[١].

ولما كانت الدولة العثمانية قوية آنذاك فلم يستطع القيصر سوى الاستيلاء على ميناء أزوف الواقع على مصب نهر الدون من الأتراك ولم يحقق هذا الميناء القدر المطلوب فى الاتصال بأوربا إذ كان لا يتصل بالبحر الأسود الذى كانت كل مخارجه تحت السيطرة العثمانية بل كان بحيرة عثمانية ولذلك اتجه بطرس الأكبر إلى الجانب الآخر من البلطيق واستمرت الحروب بينه وبين ملك السويد منذ ١٧٠٠ حتى ١٧٢١ حتى كانت معركة بولتافا الفاصلة وأصبحت روسيا بعدها دولة كبرى فى شمال أوربامما شجع القيصر علي خوض حرب ضد العثمانيين فى البغدان (رومانيا) ولكنه هزم وانسحب من ميناء أزوف واضطر إلى دفع ثلاثة ملايين فرنك ذهب للصدر الأعظم العثمانى[٢] ، ولكن تمكنت روسيا بعد ذلك من الحصول على مزايا فى البحر المتوسط كانت مؤشرا خطيرا علي ضعف الدولة العثمانية فتحت الأبواب للأطماع الأوربية وبالفعل تقدمت فرنسا بحملة نحو أهم ولايات الأتراك فى مصر الذين سعوا إلى عقداتفاق مع روسيا ١٧٩٨ لمد الأتراك بإثنى عشر قطعة بحرية فى مقابل أن تحصل على حق دخول سفنها الحربية البحر الأسود[٣] ، ونجح بول الأول قيصر روسيا في الاقتراب من البحر المتوسط فى عهد السلطان سليم الثالث كما منحت الدولة العثمانية فى العام التالى بريطانيا حق مرور سفنها التجارية فى البسفور والدردنيل من والى البحر المتوسط[٤] ، واستمر هذا الوضع حتى

---

(١) جلال يحيى - نصر مهنا - مشكلة قبرص - دار المعارف ١٩٨١ ص ٩٠.
(٢) جلال يحيى - نصر مهنا - مشكلة قبرس - دار المعارف ١٩٨١، مرجع سابق ص٩١.
(٣) جلال يحيى - نصر مهنا - مشكلة قبرس - دار المعارف ١٩٨١، مرجع سابق ص٩٣.
(٤) المرجع السابق ص ٩٤.

جاءت انتصارات نابليون على القارة الأوربية ضد النمسا وروسيا مما اضطر القيصر الروسى إلى الإنسحاب صوب بلاده شرقا ، وعندما انتصر نابليون على بروسيا فى موقعة أينا سنة ١٨٠٦ وأعلن الحصار البحرى على بريطانيا وحيال ذلك تشجعت الدولة العثمانية وألغت جميع الامتيازات التي أعطتها لروسيا ولم تلتفت لمعارضة السفير الروسى أو السفير البريطانى ولذا اتجهت روسيا إلى جذب بريطانيا للتعاون معها في مهاجمة الدولة العثمانية وتمنعت بريطانيا تحسبا لنوايا الروس التوسعية فى البحر المتوسط.(١)

وعندما تعرضت الدولة العثمانية لحركات تمرد واضطرت إلى الاستعانة بالنظم الأوربية فى مجالات الجيش والبحرية منحت الدولة الروس امتياز الدفاع المشترك فى المضايق وإن لم تسمح هذه الاتفاقية بدخول السفن الحربية الروسية البحر الأسود وعملت روسيا دائما على التخلص من هذه الوضعية(٢) ، وانتهزت فرصة مناوءة محمد على والي مصر ومهاجمته الشام حتى وصلت قواته إلى أزمير وهددت العاصمة استانبول وأيضا عندما استولت فرنسا عام ١٨٣٠ على الجزائر وهكذا وجدت روسيا زريعة للتدخل إلى جانب الدولة العثمانية وتم توقيع معاهدة بينهما " نصت علي أن يغلق السلطان المضايق أمام كل السفن البحرية وسارعت روسيا بإرسال قطع من أسطولها بجانب قوات برية أمام البسفور ومن الغريب أن بريطانيا لم تتحرك الأتوجسا من تحالف قد يقوم بين محمد علي وفرنسا فعقدت اتفاقية مع روسيا وبروسيا والنمسا كإنذار لفرنسا للرجوع عن ذلك التحالف حتى لا تصل إلى وضع متميز فى البحر المتوسط تنافس فيه طرق التجارة

---

(١) المرجع السابق ص ٩٥.
(٢) المرجع السابق ص ٩٨.

البريطانية وأضحى التنافس الدولى متشابكا ومتناقضا ومثال ذلك حرصت بريطانيا علي أن لا تنفرد روسيا بوضع حلول لمسألة القوميات أو إثارة النوازع الانفصالية لدى شعوب البلقان حتى لا تتعرض النمسا بدورها لإنفصال فى ولايتها باعتبارها ليست دولة صقلبية كروسيا وإنما تحكم عدد من الصقالبة . ولذلك اتجهت روسيا إلى مساندة ارثوذكس اليونان ماديا ومعنويا حيث كان اليونانيون يشكلون أغلبية سكان جزيرة كريت فسعوا إلي أن تكون الجزيرة تحت إدارة حاكم مسيحى مما أثار الخلاف مع الحكم العثمانى وما كان من جراء تشددهم فى الردع والتنكيل بنشوب الثورة فى الجزيرة [١] .

ثورة اليونان ضد الحكم العثمانى والدور الأوربى الجديد :

بتأييد من الروسيا ودعمها قامت عدة جمعيات وطنية فى اليونان فأسس الشاعر اليونانى "كونستاين ريجاس" جمعية هيتارى السرية حتى تم القبض عليه عام ١٧٩٨ ، ثم عادت الجمعية الى مزاولة نشاطها عام ١٨١٤ وأصبح لها اتباع فى استنبول باسم جمعية الأصدقاء (فيلكى هيتارى) وقام الكسندر بسيلانى من الجزيرة الايونية بالاتصال بقيصر روسيا وتولت تلك الجمعية التخطيطات العدوانية فى البلوبونيز وايضا الاتفاق مع الصرب كما اتجهت الجمعيات الى عقد صلات مع رجال الدين الارثوذكسى فى استنابول وايضا على حث مواطنى رومانيا للقيام بعمل جماعى مكونين حلفا مقدسا بينهم [٢] منتهزين انشغال الدولة العثمانية فى صراعها مع الروس فى مولدافيا وفالاشيا حتى تمكنت الدولة من كبح جماح هذه الجمعية وحكمت

---

(١) جلال يحيى - تاريخ العرب الحديث منشاه المعارف بالأسكندرية ص ٤٣٦ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٧.

بالاعدام على المحرضين فثار بطريرق "باتراس" منتهزا احداث الحرب التركية - الايرانية التى نشبت عندما استولى الايرانيون على الاناضول الشرقى فى كردستان عام ١٨٢١ - ١٨٢٢ لكى يعلن حرب التحرير فى ٢٥ مارس ١٨٢١ وقد تمت هذه الحرب بشكل غير منظم فى البلوبونيز وفى بحر إيجة اثر قيام المتمردين بقتل المدنيين الاتراك فى الموره وفى تريوليتا فى اكتوبر ١٨٢١ وعندما قامت الدولة بمطاردة المنشقين وشنق البطريرق الارثوذكسى المتعاون واقترف الجانبان اعمالا وحشية اثارت الرأى العام العالمى الى جانب اليونانين خاصة بعد مذبحة شيد فى ابريل ١٨٢٩ وأضطرت الدولة العثمانية إزاء تطور الصراعات الى الاستنجاد ببريطانيا وبمحمد على والى مصر اثر تدخل الروس الكامل بجانب اليونانيين واعلان بريطانيا والنمسا بان الثورة اليونانية مسالة داخلية تهم الدولة العثمانية وطالبوا روسيا بوقف التدخل حماية للسلام فى اوربا [١] وبعث محمد على ابنه ابراهيم لاخماد ثورة اليونان وتمكن من إنزال هزيمة ساحقة بالثوار مما أثار بريطانيا ضد التقدم المصرى وحتى لا تنفرد روسيا وحدها بحل المشكلة [٢] وحتى لا يقوى نفوذ محمد على ويكون هذا بداية لإعداد وريث قوى للدولة العثمانية المنهارة اتفقت كل من انجلترا وروسيا فى ابريل ١٨٢٦ على منح اليونان حكما ذاتيا رغم عدم تأييد النمسا تخوفا من وصول ولى عهد اليونان صهر غليوم الثانى امبراطور ألمانيا الى العرش وحتى لا تقوى المقدونية التى يتزعمها البلغار لتكوين دولة بلغاريا عن طريق ضم أجزاء من الإمبراطورية النمسوية [٣] وترتب على تسوية استقلال اليونان

---

(١) جلال يحيى - تاريخ العرب الحديث منشأة المعارف بالأسكندرية - مرجع سابق ص ٣٨.

(٢) محمد محمود السروجي - مرجع سابق ص ٣ .

(٣) جلال يحيى - معالم التاريخ الحديث - مرجع سابق ص ٤٩٧ .

خروج الروس صفر اليدين [١] وأيضا تشجيع كافة الصراعات القومية ضد الدولة العثمانية [٢] وان استمرت بريطانيا تعلن عن سياستها فى الحفاظ على أملاك الدولة العثمانية رغم اتجاهات سالسبرى رئيس وزرائها الذى تزعم اتجاه حماية حقوق الأقليات وطالب بالتدخل العسكرى البحرى فى البسفور والدردنيل للوصول الى أرمينيا المطلة على البحر الأسود ووقف المذابح التركية بها [٣] .

وقد أستمرت المسألة الشرقية احدى المشكلات الصعبة فى العلاقات الدولية ولم يتخلف مؤتمر فيينا ١٨١٥ الذى أنهى انتصارات نابليون على القارة الأوربية فى وضع المسألة الشرقية فى جدول أعمال المؤتمر لتصفية الإسلام فى أوربا ولكن حال التنافس بين المؤتمرين فأجل بحث المسألة الشرقية حتى لا تصل روسيا الى تحقيق اتساع غربا وجنوبا فى المناطق السلافية وأرمينيا [٤] .

حرب القرم ومرحلة جديدة للتنافس الدولى حول الدولة العثمانية :

حرصت بريطانيا على إبقاء قوة الدولة العثمانية فى وضع متأرجح بين القوة والضعف حتى لا تقع فريسة لأية قوى أجنبية أخرى وكما يقول الزعيم المصرى مصطفى كامل إن بريطانيا حرصت دائما على تفتيت أوصال الأمبراطورية العثمانية تبعا لمصالحها رغم محاولتها الظهور محافظة على حدود تلك الأمبراطورية ولذا تعد حرب القرم ١٨٥٣ - ١٨٥٦ من الحروب المعبرة عن مجالات التنافس الدولى المسيحى مع العالم الإسلامى وذلك

---

(١) السروجى - مرجع سابق ص ٨ .
(٢) فاضل حسين - محاضرات مؤتمر لوزان- معهد الدراسات العربية - القاهرة ١٩٧٩ ص ٤ .
(٣) بير رينو - مرجع سابق ص ٧٨ .
(٤) محمود ثابت الشاذلى - دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية ١٢٩٢ - ١٩٢٣ مكتبة القاهرة ص ١٣٣٠.

عندما إشتركت انجلترا بجانب الدولة العثمانية فى حربها ضد روسيا دفاعا عن كيان العثمانيين، أو كما صرح وزير خارجية بريطانيا دفاعا عن مبدأ الحفاظ على التوازن الدولى عندما أعلنت روسيا الحرب بمفردها بعد أن يئست من إمكانية توريط بريطانيا معها - ولم تترك فرنسا بريطانيا تعمل بمفردها فتدخلت الى جانبها فى الحرب كمحاولة منها لاستعادة أمجاد الفترة النابلوينية التى هفت إليها أفئدة الفرنسيين ، اما النمسا فقد بقيت على أسلوبها الحذر المحايد رغم جهودها المستمرة فى مؤازرة الأقليات المسيحية فى البوسنة والهرسك حتى فى وجود برنامج إصلاحى ودستورى عثمانى فى البلاد وفق النظم الأوربية والفرنسية ولكن حال دون تدخلها الحفاظ على قوتها العسكرية لمواجهة المعارضة الداخلية وكذلك القوى البروسية الناشئة والتى كانت تعد نفسها لوراثة الزعامة فى الأمبراطورية النمساوية .

وقد بدأت بوادر الأزمة التى أدت الى الحرب عندما هاجم نصارى البوسنة قافلة عثمانية وقتلوا عددا كبيرا من جنودها وخطفوا قائدها[١] وعندما أرسلت الدولة بعض قواتها لتأديب المتمردين أعلنت كل من الصرب والجبل الأسود حيادهما وإزاء الإنتقام العثمانى تصدت وسائل الأعلام الأوربى لأسلوب الردع العثمانى وساندت موقف الأقليات البادئين بالعدوان حتى بدأت روسيا تتقدم لحماية السلاف وتحالفت الدوافع القومية والتطلعات السياسية والدينية لزيادة اضطراب البلقان حتى أضحت المنطقة أشبه ببرميل بارود معرض للإنفجار إذا ما أرتفعت حرارة المنطقة ، ولم يكن خافيا على الدول الأوربية المعنية أهمية الدولة العثمانية فى الحفاظ

---

(١) محمد حرب - مرجع سابق ص ٦٤.

والسيطرة على المضايق البحرية إزاء الأطماع الروسية التى قامت بالفعل بالإستيلاء على الأفلاق والبغدان (رومانيا) وطالبت الدولة العثمانية مساعدة الخديو اسماعيل والى مصر رغم كل توجسها من أطماع هذا الخديو وبالفعل سارع الخديو بإرسال قواته رغم تحذيرات فرنسا وبريطانيا وتهديدهما بحصار السواحل المصرية[١] وشارك الجندى المصرى بجانب العثمانى والجنود الفونسيين والبريطانيين وهزم الجيش الروسى عند نهر " ألما " وقد بلغت القوات المصرية ٢١ ألف مقاتل وساندت القوى البرية قطع الأسطول العثمانى والمصرى لحصار شواطئ شبه جزيرة القرم ووجد القائد العثمانى مصطفى ناتلى بك أن الضرورة العسكرية تستدعى توحيد القيادة العسكرية العثمانية والمصرية تحت رئاسته مع التحفظ فى إعطاء المصريين حرية الحركة المنفردة ومنعهم من القيام بإجراءات مرنة مع الثوار أو أستقطابهم نحو الحكم المصرى فى المنطقة كتعويض عن خسارة المصريين السابقة فى جزيرة كريت وقبرص وجاءت هذه المبادرة المصرية ردا على نصيحة الخديو لقواده المشاركين فى الحرب بالحرص على تثبيت الاستراتيجية المصرية المستقبلية فى البلقان .

وهكذا فرغم اشتراك القوتين العسكريتين متلازمتين فى المعارك إلا أن القيادات فى كل منهما كانت تتحرك بصورة مختلفة حتى لا تنفرد إحداهما بانتصار حاسم ضد الثوار كما رأت القيادة المصرية أن انتصار الفريقين متلازمين قد يفسر فى غير صالح مصر وكان اسماعيل يتوقع التأييد الفونسى له فى دوره الجديد سيما وأنه قام بمعاونتها عسكريا فى المسكيك رغم مخالفة ذلك لفرمان ١٨٤١ ، كما إن بريطانيا كانت ترى أن

---

(١) السروجى - مرجع سابق ص٦٧.

مصر أفضل من الحكومة العثمانية فى إدارة الجزيرة، وكان مؤدي ذلك عدم الاطمئنان والتوجس حيال مصر وبعد أن أحرز الطرفان عدة انتصارات ضد الروس خاضت بريطانيا وفرنسا معارك حاسمة ضد الروس عام ١٨٥٤ للقضاء نهائيا على القوة البحرية الروسية (١)، وهو ما كان يهم كلا من الدولتين فاختارا ميناء اسباسنيول الروسى ليكون هدفا للعمليات العسكرية.

وفى نفس الفترة قاد القسيس دانئلوا الثورة في الجبل الأسود ونادى بنفسه ملكا عليها سنة ١٨٥٥ فأرسلت الحكومة العثمانية بقوات للقضاء عليه حتى تدخلت حليفته روسيا وطلبت عقد معاهدةمنفصلة خاصة بالجبل الأسود وأيضا لتسوية مسألة الأماكن المقدسة فى فلسطين والاعتراف بالبطريرق الروسى رئيسا دينيا لكل عموم الأرثوذكس فى الدولة العثمانية ومن هذا المنطلق أصبح تدخل فرنسا محتما لحماية تطلعاتها التقليدية فى الشرق خاصة وأن روسيا أرسلت قواتها نحو الدانوب لتأييد الجبل الأسود(٢) ،وهكذا اشتعلت المعارك بين الروس والقوى المتحالفة رغم أن دور بريطانيا العسكرى كان يعد مخالفا ومتناقضا مع اتفاقياتها السابقة مع الروس إلا أن التقدم الروسى كان أكثر خطورة عندها ومن هنا جاء ضرب أهم القواعد الروسية فى سباستنبول ثم انتهت الحرب قبل القضاء نهائيا على قوة روسيا . والجدير بالذكر أن اتجاه بريطانيا وحليفتها فرنسا إلى عدم القضاء الكامل على قوة روسيا لتستمر قوة ضاربة فى المنطقة تهدد الدولة العثمانية وتفتت قواها وجهودها العسكرية ويتماثل هذا الوضع فى كثير من دواعيه مع الدور الأمريكى فى التصدى لقوة العراق العسكرية

---

(١) الأمير عمر طوسون - الجيش المصرى فى الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم ١٨٥٣ -١٨٥٥ مكتبة مدبولى - القاهرة ص ١٣٧.

(٢) محمود ثابت الشاذلى - مرجع سابق ص ١٣٥.

عندما هاجمت جارتها الكويت عام ١٩٩٠ دون أن ينهى تماما قوة صدام حسين فى العراق حتى يستمر وجوده مصدرا للرعب عند الكويتيين فلا يفكرون فى الاستغناء عن القوة الأمريكية والمقابل دائما هو الصالح العام للولايات المتحدة الأمريكية .

وهكذا عندما تتكرر نفس الظروف والملابسات نجد أن رد الفعل الاستعمارى يتماثل سواء فى القرن التاسع عشر أو فى القرن العشرين حتى بعد استقرار النظم الدولية الخاصة بتسوية النزاعات بين الدول ولكن اليد القوية دائما تفرض نفسها بالرغم من الشرائع والقوانين .

معاهدة باريس ١٨٥٦ وتحجيم الدور الروسى فى البلقان :

سارعت الدول الكبرى قبل إحراز نصر ساحق على روسيا إلى عقد مؤتمر باريس ١٨٥٦ لتوقيع شروط الصلح بعد أن وضح أن الوصول إلى نصر نهائي على الروس سيثير المشاكل بين الدول المتحالفة وسيفتح المجال أكثر للدولة العثمانية لكى تشتد قبضتها على ولاياتها المسيحية فى البلقان ، كما ستنجح النمسا فى وراثة النفوذ الروسى فى المنطقة مما يزيد الخصومات التقليدية على الساحة الأوربية ذاتها فى فرنسا والنمسا وألمانيا- ولذلك تقرر فى معاهدة باريس احترام سيادة الدولة العثمانية وإعلان حيدة البحر الأسود وإن كان هذا الحياد ينقصه الاعتراف الروسى بعد أن انسحب نفوذها هذه الفترة وأجلت تحقيق مآربها فى الدولة العثمانية، كما أقرت المعاهدة حرية الملاحة فى نهر الطونة (الدانوب) وتخلصت النمسا من الخطر الروسى عند مصب ذلك النهر أو التوسع فى البلقان[١] ،كما أقرت المعاهدة بحق الباب العالى فى إقامة حاميات فى

---

(١) السروجى - مرجع سابق ص ١٣٩.

القلاع التابعة له فى الدانوب والتعهد بعدم الاستعانة بهذه الحاميات فى التعدى على الولايات إلا بعد موافقة الدول الأوربية الموقعة على المعاهدة.

كما حرصت الدول الأوربية فى هذه المعاهدة أن يتعهد الباب العالى بإدخال نظم حديثة فى أسلوب حكمه تجنبا لآية تدخلات أوربية جديدة فى المنطقة .

وكان تنازل الباب العالى عن قلعتين من قلاعه الست المنصوص عليها في المعاهدة قد اطمع الصرب فى الوصول إلى استقلال تام[١] وتحريض البوسنة والهرسك علي الانفصال.

المعالجة الأوربية لمسألة الصرب :

تحولت روسيا بعد معاهدة ١٨٥٦ إلى الشرق الأقصى فى توسيع ممتلكاتها على حساب دولة الأفغان بالرغم من معاهدة ١٨٥٧ التى انهت الحرب الأفغانية الأولى ووصل الروس بالفعل حتى سمرقند وهارى عام ١٨٦٨ ثم توقفت توسعاتهم سنة ١٨٧٨ بالضغوط الإنجليزية واعترفت روسيا بأن دولة الأفغان تدخل فى نطاق النفوذ البريطانى فى معاهدة ١٩٠٨ الإنجليزية - الروسية وتكون دولة حاجزة بين انجلترا فى الهند وروسيا القيصرية واحترام سيادة هذه الأراضى[٢]، وفى نفس الوقت كانت الدبلوماسية الروسية تعمل من أجل استقلال الصرب كحل لإنهاء الفتن لدى الباب العالى الذى اضطر تحت الضغوط الروسية لقبول العرض الروسي وسحب الحاميات العثمانية حتى ولو لم يبق سوى العلم العثمانى يرفع إلى

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٩.

(٢) جريدة الوفد - ربيع الأول ١٤١٥- ١٩٩٤ مقال - جمال بدوى - الأحزان فى بلاد الأفغان ص ١٤.

جانب العلم الصربى فى هذه المنطقة وإزاء النجاح الصربى بدأ التحرك من البوسنة والهرسك حتى وافق الباب العالى على إصدار تنظيمات خاصة بتلك الولايتين وعندما ثار بعض الأتراك عن هذه التنازلات واغتيل قنصلى المانيا رفرنسا تحركت الأساطيل من النمسا واليونان وروسيا وأيطاليا لتدعيم بعثة التحقيق المكلفة ومعاقبة الجناة[١] ، ثم عقد مؤتمر فى برلين ضم بسمارك المستشار الألمانى واندراس وزير خارجية النمسا وجور تشكوف وزير خارجية روسيا وقدموا « مذكرة برلين » التى ضمت المطالب الأوربية بشأن دول البلقان وقدمت للباب العالى متزامنة مع ثورات عرقية حيث قامت المذابح ضد المسلمين المدنيين ولم يتحرك الرأى العام إلا عندما تحركت قوات الدولة لمنع التعديات وتناولت الصحافة البريطانية المسألة بتضخيم شديد لإجبار حكوماتها على اتخاذ موقفا إيجابيا من الباب العالى وبالرغم من إعلان فرنسا وانجلترا أن مذكرة برلين تعد تدخلا سافرا فى شئون الدولة العثمانية وبعد رفض الباب العالى لهذه المذكرة أرسلت بريطانيا ببعض قطع اسطولها بالقرب من منطقة الأحداث لإشاعة الطمأنينة لدى المسيحيين وللضغط علي الباب العالى وفى ٣٠ مايو ١٨٧٦ أعلنت الصرب الحرب على الأتراك واستنجد السلطان العثمانى مرة أخرى بالخديو إسماعيل الذى حرص على إجابة السلطان حتى يسانده بدوره فى مقاومة النفوذ الأنجليزى والفرنسى الذى يتدخل فى بلاده ويهدده بالتنازل عن العرش[٢] ، بالإضافة إلى التهديد بإنشاء دولة للدروز التابعين لها فى منطقة قناة السويس[٣] ، وتمكنت الدولة العثمانية من هزيمة الصرب ولم تتدخل انجلترا رغم الضغوط على حكومتها والتى قام بها السياسى جلادستون

(١) السروجى ، المرجع السابق ص ١٣٦.
(٢) محمد صفوت - الاحتلال الإنجليزى لمصر وموقف الدول الأوربية إزاءه ص١٢.
(٣) نجيب صالح - تاريخ العرب السياسى ١٨٥٦-١٩٥٦، دار اقرأ ص ٢٠.

وطالبت بريطانيا الباب العالى بقبول المفاوضات ومنح ولايتى البوسنة والهرسك الحكم الذاتى ووافق الباب العالى علي أن يذهب أمير الصرب إلى استانبول لطلب العفو والتعهد بتحمل نفقات وتعويض الحرب وإزاء التحرك الصربى المستمر سارعت الدولة فى ١٣ أكتوبر١٨٧٦ بسحق قوات الصرب التي قادها الروسى تشرنايف وامتنعت عن التفاوض مع هاتين الولايتين باعتبارهما من أملاك الدولة العثمانية - ثم رضخ السلطان عبد الحميد الثانى لحكومة الاتحادين بإعلان دستور ١٨٧٦ وبمقتضاه تم منح الولايات العثمانية حقوقا دستورية عديدة ولم تمنع تلك الخطوة الدول الأوربية من عقد مؤتمر فى الآستانة أقر بحق البوسنة والهرسك فى الاستقلال الإدارى تحت حكم رئيس مسيحى يوافق عليه الباب العالى[١] ، ومنح بلغاريا استقلالا ذاتيا وأن تشمل منطقة الجبل الأسود سبييزا واثنى عشر مقاطعة من ألبانيا ومن البوسنة والهرسك .

كما قرر المؤتمر عودة الصرب إلى حدودها القديمة وضم روفنبيك وأن تقوم قوة دولية بحفظ الأمن بها وقرر المؤتمر جعل اللغة السلافية لغة البلاد الرسمية وأن يتم اختيار القضاة ومشايخ القرى بالانتخاب [٢] ، وشكلت قرارات مؤتمر الآستانة التى لم يحضرها المندوب العثمانى رغم انعقادها فى عاصمة بلاده خطوة حاسمة فى تفتيت الدولة العثمانية وضربت باحتجاجات الباب العالى عرض الحائط ومنذ هذه المعاهدة وحتى الحرب العالمية الأولى تخلت بريطانيا عن المحافظة علي أملاك الدولة ظاهريا وباطنيا لمواجهة التنافس الاقتصادى المتصاعد مع ألمانيا المتحدة التى مضت فى طريق تكوين المستعمرات وانتهزت روسيا رفض الدولة العثمانية

---

(١) السروجى - مرجع سابق ص ١٧.
(٢) محمد حرب - مرجع سابق ص ٧٢.

تنفيذ بنود المعاهدة الجائرة وعقدت اتفاقا مع الدول المعنية واشركت بريطانيا وبدأت تعد للحرب الروسية – التركية بعد أن حصلت على موافقة تلك الدول علي خوض الحرب بجانبها ولم تعد بريطانيا كسابق سياستها مكتفية بمجرد الإعلان بأن هذه الحرب تخالف بنود معاهدة ١٨٥٦ التى تعهدت باحترام استقلال الدولة العثمانية ولكنها تشددت فيما يتعلق بتعرض أمن قناة السويس أو المضايق العثمانية أو الخليج العربى للخطر لوجود المصالح البريطانية بها أما النمسا فوقفت على الحياد بعد أن وقعت اتفاقا بأن لا تتعرض لحقوق النمسا فى البوسنة والهرسك هكذا تم لروسيا النجاح فى اختراق البلقان حتى وصلت إلى بنى زغره فى ١٥ يوليو ١٨٧٧[١] ، ثم أدرنة وهددت العاصمة العثمانية وبعد أن أستقر لها الأمر أجرت مفاوضات مع حكام الصرب والجبل الأسود وجرت المفاوضات بين الجانبين العثمانى والروسى وانتهت بتوقيع معاهدة سان استيفانو التى نصت على زيادة رقعة الجبل الأسود إلى الضعف وسحب لواء نيس من الأتراك وضمه للصرب كما حصلت رومانيا على الحكم الذاتى وضم منطقة دوبر ايجه إليها بدلا من بسارابيا التى استولت عليها روسيا .

أما بلغاريا فامتدت حدودها من نهر الدانوب شمالا إلى بحر أرخبيل جنوبا حيث تسكن عناصر غير بلغارية ، وهكذا لم يصبح للدولة العثمانية بعد ذلك فى أوربا سوى اليوسنة والهرسك وألبانيا وابيروس وسالونيك وغاليبولى والآستانة أما فى الميدان الأسيوى من الدولة فاستولت روسيا بمقتضى المعاهدة المذكورة على قارص وارضفان وباطوم وبايزيد بالإضافة إلى استحقاق غرامة حربية ضخمة علي الدولة العثمانية وقبل أن

---

(١) حسن لبيب – مرجع سابق – ص ٧١.

يصل إلى علم الحكومة البريطانية نبأ توقيع تلك المعاهدة أدلى اللورد داربى فى منتصف مارس ١٨٧٨ بأنه يجب أن يكون مفهوما أن أى اتفاق يعقد بين تركيا وروسيا يعرض علي مندوبى الدول الأوربية الذى سيعقد لبحث مسألة البلقان وأن هذا العرض لن يكون للتصديق عليه فقط بل للنظر فيه ومناقشته ولكن قرارات سان استيفانو لم تعلمها حكومة لندن إلا فى٢٣ مارس أى بعد انقضاء ثلاثة أسابيع [١] على توقيعها ولهذا ثارت وعلق اللورد بيكونسفيلد فى مجلس اللوردات على هذه الاتفاقية بأنها قضت نهائيا على ما يعرف بتزكية أوربا ومحت الإمبراطورية العثمانية ، وشرعت الحكومة الإنجليزية لمواجهة روسيا عسكريا وأمرت جمع الاحتياطى العام لجنودها وتجمع أعداد من الأسطول الإنجليزى حول مالطة وإزاء هذه الاستعدادات الحربية حاولت ألمانيا تهدئة الموقف وإيقاف الاستعدادات الحربية من الجانبين واقترح بسمارك إبعاد كل من الأسطول الإنجليزى والأسطول الروسى عن الآستانة كشرط لقبوله الوساطة بين الطرفين ونجح بسمارك فى اقناع روسيا بعرض مشكلة المضايق من جديد فى مؤتمر أوربى لتخفيف بعض الضغوط عن الحكومة العثمانية وسحب للمكاسب الروسية ولذا سارع الأسطول البريطانى باحتلال جزيرة قبرص بصفة مؤقتة كما أعلن حتى تجلو روسيا عن مكاسبها فى آسيا أي فى فارص وباطوم وبايزيد ، ولم تنتظر بريطانيا عقد المؤتمر الأوربى المزمع عقده بشأن هذه المسألة إنما سارعت أيضا بعقد اتفاق مع الحكومة العثمانية فى الآستانة فى ٤ يونيو ١٨٧٨ تحت ضغط وجود أسطولها فى المياه التركية وشعرت فرنسا أن هذا الاتفاق الجانبى يهدد مصالحها فأعلنت احتجاجهاعلي مخالفة الاتفاق الفرنسى- الانجليزى الخاص بإبقاء الحال كما هو Statu-quo حتى

(١) محمد السروجى - مرجع سابق ص ٢٩٤.

يتولى المؤتمر الأوربى بحث الأمر .

ولم يفزع الاتفاق الإنجليزى الروسى فرنسا فقط بل باقى الدول الأوربية وأيضا الحكومة المصرية الذى سارع كامل بك القبوكتخدا إلى الخديو يخبره بتوقيع المعاهدة الدفاعية مع الباب العالى[١] كما رفض السلطان عبد الحميد بناء على تأييد الحكومة الإنجليزية بنود هذه المعاهدة واستند فى رفضه إلى عدم اشتراك بريطانيا فيها وحاول ارضاء العالم الأوربى بما أدخله فى البلاد من نظم دستورية جديدة وقامت حكومة الاتحادين بالهيمنة علي السلطة حتى أن بريطانيا صرحت بأنه بتطبيق المشروطية الجديدة ستنتهى مشاكل الأقليات المسيحية، وطالب السلطان عبد الحميد بعقد مؤتمر برلين الذى رأسه بسمارك ولم يأت بجديد للدولة العثمانية ولم ينه الاستقطاعات من الدولة بل كما قال الزعيم المصرى مصطفى كامل بأن اتفاقية الآستانة شجعت بريطانيا السلطان علي رفض قرارات استيفانو التي كانت أقل ضررا من الاتفاقية التالية مؤكدا أن بريطانيا كانت تعمل دائما على إضعاف قوة الدولة العثمانية وانتهى مؤتمر برلين بالقرارات التالية: تقسيم بلغاريا قسمين : القسم الشمالى يتمتع باستقلال داخلى والقسم الجنوبى أى الروملى الشرقى يقوم على حكمه والى مسيحى يعينه الباب العالى ، كما أيد الاتفاق استقلال رومانياوضم دوبر ايجه إليها نظير استيلاء الروس على بسارابيا التى سبق أن انتزعت منها فى معاهدة باريس ١٨٥٦ ، وبالنسبة للصرب فقد ضم منطقة بنش والجبل الأسود فقد منح فقط ثلث الأراضى التى قررت له فى سان استيفانو وبالنسبة للنمسا فقد أقر المؤتمر أن تتولى الحكم ولمدة غير محددة فى ولايتى البوسنة والهرسك ، ووعدت اليونان بضم تساليا وابيروس من

(١) محمد السروجى - مرجع سابق ص ٢٩٤.

العثمانيين وأخيرا قرر المؤتمر احترام معاهدة ١٨٥٦ فيما يتعلق بدولية المضايق ونهر الطونة وأخيرا طالب باحترام سيادة الدولة العثمانية واستقلالها بعد كل هذه الاستقطاعات بالإضافة إلى فرض تعميم نظام الإصلاح الأساسى الذى طبق عام ١٨٦٨ فى كريت فى كافة الولايات الأخرى .

وهكذا لم تأت معاهدة برلين بجديد بالنسبة للأتراك إنما كرست مصالح النمسا والأقليات المسيحية التابعة للعثمانيين وفرضت نوعا من الرضا فى كافة الدول الأوربية المتنازعة بالرغم من أن احتلال بريطانيا لقبرص قد شجع فرنسا فيما بعد على احتلال تونس وأن تنافس بريطانيا في الاهتمام بشئون مصر حتى لا تنفرد بها انجلترا وشعرت روسيا بالإذلال بالرغم من مكاسبها الواضحة واعتبرت انجلترا مسئولة إلى حد كبير.

وكلفت المعاهدة الدولة العثمانية الأموال الباهظة وأضعفت هيبتها السياسية مما دفع السلطان عبد الحميد إلى إحكام قبضته علي موارد البلاد وقام بإلغاء الدستور وتكميم المعارضة لمواجهة انهيار الدولة مما قوى التذمر فى نفوس الرعية .

ووجه السلطان عبد الحميد بأكبر حملة تشويه فى تاريخ الدولة العثمانية لموقفه من الإدعاءات القومية المطروحة على الساحة العثمانية وعدت جهوده فى المحافظة على أملاكه بأنها دعوة للتأخر والرجعية ومن ثم كان تأليف الأحزاب السياسية الداعية إلى اللامركزية (جمعية التشبث الشخصى وعدم المركزية والمشروطية) [١] ، ورغم تبنيها لفكرة الاستقلال الذاتى فى إدارة الولايات إلا أنها لم تجد قبولا بين الشعوب المسيحية

---

(١) ساطع الحصرى - مرجع سابق ص ١٠٦

لاشتمالها على مبدأ الولاء للخلافة الإسلامية ، كما ظهرت تجمعات سياسية أخري كحزب " وطن Vatan" الذى تشكل فى سالونيك من مجموعة من الضباط والموظفين وانضم إليهم العديد من "الدونما" وهم اليهود الذين دخلوا فى الدين الإسلامى وقد تميز هذا الحزب بالأنظمة السرية (١) ، سواء فى الانضمام إليه أو أسلوب الاجتماعات والعمل كما قد انتشرت مبادئ الاتحاد والترقى فى مقدونيا تحت سمع وبصر الضباط الأوربيين المقيمين فيها بموجب اتفاقية " مورزستيج " (٢) ، وكان أعضاء حزب تركيا الفتاة ذاك يشعرون بضغوط القوى الأوربية بينما حرص السلطان عبد الحميد علي اتهام بريطانيا بإثارة الفتن القومية وشجع التقارب مع المانيا التى رأى أنها أقل ضررا حتى أنها كانت ترفض الاشتراك فى المظاهرات البحرية لإرهاب الدولة العثمانية وكانت الزيارتان الشهيرتان لأمبراطور ألمانيا سنة ١٨٨٨ و ١٨٩٨ تتويجا للعلاقة الحميمة مع العثمانيين فى الحقبة التى كان ملوك أوربا يرفضون زيارة السلطان الأحمر(٣) كما يلقبوه .

وساهمت القوى الأجنبية بكل تناقضاتها وتنافسها في تقوية الحزب العسكرى فى الدولة للتسلط السياسى على دفة الحكم وصولا لإيجاد حالة من الفوضى فى البلاد تؤثر علي قوة الخليفة والقضاء على موقفه المتشدد من مسألة القوميات ومن موضوعات أخرى تخص الدول الأوربية منها إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين وهو ما كان يرفضه بشدة السلطان وانتهى الأمر بتدخل العسكريين فى الحكم وبداية هزائم الاتحاديين فى معارك عسكرية جديدة وصراعهم الداخلى مع أنصار السلطان وأيضا مع

---

(١) Lieutement Colonel Malterne L'armee jeunes Turkues Revues sciences Politique 1914, p. 434 -435.

(٢) أرنست مور - ثورة تركيا الفتاة ص ١٥٢.

(٣) المرجع السابق ص ١٥٣.

معارضيه مع الذين نبهوا إلى خطورة استعارة أساليب الغرب فى الدولة الإسلامية لوجود اختلاف جذرى بين الفريقين حتى أن السياسى النمساوى "مترنيج" قدأشار أيضا إلى خطورة خطوات الاتحاديين فى تطبيق القوانين الأجنبية ولكنه ووجه بهجوم باعتباره كاره للنفوذ الفرنسى فى الدولة العثمانية[١] وقد استمرت تلك التنظيمات منذ تبنى السلطان عبد المجيد لها وإصداره خط كلخانة عام ١٨٦١ الذى أعده الصدر رشيد باشا فى المساواة الكاملة بين رعايا الدولة فى دفع الضرائب أو فى فرض الخدمة العسكرية على غير المسلمين وكان مؤدى ذلك القضاء على نظام الإقطاع الحربى [٢] ، مع استمرار الخطط العدائية من جانب الأوربيين فالهدف كان القضاء على الدولة وليس إصلاحها .

ولا يجب إغفال أن هذه الاصلاحات افتقرت إلى اقتناع السلاطين فعليا بها كما أن طبقات الشعب نفسها استنكرت تماما كل صور التدخلات الأجنبية فى شئون الدولة وكذلك التدخل الأوربى فى شئون المضايق البحرية، بالإضافة إلى أن انتشار المدارس والهيئات الأجنبية المختلفة وخاصة الإرساليات الأمريكية التى أقنعت دولتها بالنظر إلى اليهود بعين الاعتبار فيما يتعلق بحقهم فى إنشاء دولة إسرائيل فى فلسطين حتى أن السلطة الأمريكية استنكرت التفرقة بين اليهود وبين المسيحيين فى اتجاهات الدولة العثمانية [٣] ، واستمر الغزو الفكرى الخارجى مواكبا لكافة اتجاهات الشئون العثمانية فلم تختلف أفكار رشيد باشا عن محاولات تلميذه مدحت باشا في تسييس مشاعر الأتراك نحو الأوربيين حتى تم وضع

---

(١) عبد العزيز سليمان نوار - مرجع سابق ص ٤٦.
(٢) عبد العزيز سليمان نوار - مرجع سابق ص ٤٤.
(٣) فاضل حسين - مرجع سابق ص ٤.

دستور ١٨٧٦[١] ، وغالت سياسة القمع والتنكيل التى قام بها عبد الحميد لحماية الاستقرار السياسى داخل البلاد[٢] ، علي أية حال تحملت الدولة عبء الاستدانة لتغطية الإصلاحات الأوربية المفروضة ووصلت الديون الأجنبية إلى ٢٥٢ مليون ليره ذهبية عام ١٨٨١ فى عهد السلطان عبد العزيز وسارت السياسة البريطانية والفرنسية حتى ذلك الوقت على مبدأ الحفاظ على التوازن الدولى[٣] ، وإن كان السياسى الفرنسى يونكاريه من الرافضين لمبدأ انفصال الولايات العثمانية[٤] رغم اظلام الجو السياسى فى أوربا منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين.

البلقان على مشارف الحرب العالمية الأولى :

بعد حرب القرم والهزيمة الدبلوماسية التى منيت بها السياسة الروسية فى البلقان وفقدانها الأمل فى أن تقدم إزاء التكتل الأوربى فغيرت استراتيجيتها نحو التوسع شرقا فى سيبريا وفى منشوريا ولم تعترض بريطانيا منذ البداية على الاستراتيجية الروسية الجديدة حتى إنها لم تعترض على إنشاء روسيا قاعدة بحرية فى بورت أرثر شرق آسيا رغم وجود المصالح البريطانية بها ، إلا أن نهاية القرن التاسع عشر شهدت صراعا بين فرنسا وانجلترا ،إلى حد يشعل نيران الحرب بينهما فى أفريقيا[٦]، واستغلت القوميات السياسية فى البلقان انشغال الدول الكبرى

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد الثانى - إعداد محمد حرب - كتاب الهلال- العدد ٨٤ ص١٦.
(٢) أميرة محمد كامل الخربوطلى - مرجع سابق ص ٢٢.
(٣) على ماهر - القانون الدولى - مطبعة الاتحاد ١٩٢٤ ، ص ١١٥.
(٤) لوردوديق دقونيا سون ، أناضوليا إصلاحات ارمنى مسئلة سوريا مسئلة - تعريب عن التركيب راغب رفقى - الناشر اعتماد كتبخانة ص ٨٣.
(٥) جلال يحيى - معالم التاريخ الحديث - مرجع سابق ص ٤٣٧.
(٦) وقفت الدولتان مشهرتين السلاح فى فاشودة عندماامتد التوسع الفرنسى من الغرب والقوات البريطانية المصرية لولا أن تراجعت فرنسا عن احتلال فاشودة.

فى صراعاتهم خارج القارة الأوربية وتصديهم للتوسعات الألمانيةالخارجية لزيادة نشاط الفتنة القومية فى البلقان حتى أنها هددت سلام العالم سنة ١٩٠٨ -١٩٠٩ وفى سنة ١٩١٠ ، ١٩١٣ ونجح انقلاب عسكرى فى البلقان تحت زعم نشأة الصرب الكبرى ومعاداة النمسا التى تمكنت من ضم البوسنة والهرسك كاملا فى١٥اكتوبر ١٩٠٨وأيدت روسيا الثوار الصرب الى حد اعلان التعبئة العسكرية خاصة وأن المانيا كانت تتجنب تماما العداء الروسى لأنها كانت بسبيل تحقيق وضعامتميزا فى الدولة العثمانية واقترحت الحكومة الألمانية فى ديسمبر ١٩١٠عقد اتفاقية مع روسيا تتعهد فيها بعدم تأييد سياسةالنمسا فى البلقان على أن تتعهد روسيا بعدم تأييد بريطانيا فى معاداتها ورغم أن الاتفاقية لم تتم بصورة رسمية إلا أن روسيا لم تتوقف على الضغط على الدولة العثمانية فيما يتعلق بتطبيق الاصلاحات فى البلقان[١] ، واستمرت سياسة بسمارك الألمانية فى العزل بين روسيا وبريطانيا كما أشار على حكومته بعدم الانحياز لبريطانيا لتجنب معاداة روسيا[٢] ، ويتمكن من اتباع نفس الأسلوب فى الأبعاد بين روسيا وفرنسا عن الرغم من أن الفرنسيين آنذاك لم يشغلهم سوى خطر رجحان كفة انجلترا فى البحر المتوسط ولم يجدوا فى نمو البحرية الروسية خطرا يوازى سيطرة انجلترا على البحار[٣] ، وهكذا حفلت السنوات القليلة التى سبقت نشوب الحرب العالمية الأولى بأزمات دولية وإن حجمتها بعض الشئ تلك التجمعات الدولية ونظام المحالفات الذى أقامه بسمارك على القارة الأوربية فكان الحياد المسلح The armed peace هو السمة الغالبة علي العلاقات الدولية ولم يكن أكثر من الحرب البلقانية التى اشتعلت عام ١٩١٣ .

---

(١) السروجى - مرجع سابق - ص ١٧٨.
(٢) المرجع السابق ص ١٧٩.
(٣) جلال يحيى - أوربا المعاصرة- مرجع سابق ص ٢٠٣.

وعرضت الدولة العثمانية لأحرج فترات تاريخها بعد هجوم أيطاليا المباغت علي سواحلها فى ليبيا وأثناء استمرار الحصار الإيطالى الذى عجز عن التقدم داخل البلاد [١]، اندلعت ثورة البلقان التى اشترك فيها الصرب وبلغاريا واليونان والجبل الأسود وصعدوا الثورة الى حرب شاملة بتكوين تحالفا مشتركا[٢] فتقدموا من جهة الشمال واحتلوا منطقة دروازوموناستر ثم احتلوا سالونيك وأسروا أعدادا هائلة من الأتراك المدنيين وطردوهم خارج البلاد ، ثم تقدمت الفرق البلغارية وحاصرت مدينة ادرنة وهزمت القوات العثمانية علي جميع الجهات بعد أن هاجمتها القوات اليونانية من الجنوب وأسروا ألف جندى تركى حتى امتلأت المستشفيات بالقتلى والجرحى وتفشت الأمراض والأوبئة ولم يتمكن القائد التركى مصطفى كمال سوى من منع توغل البلغار فى أدرنة حيث كان يوجد خط دفاع المدينة الذى شيد أثناء حرب القرم ضعيفا فاستمر حصار المدينة . وبدأ الجيش العثمانى متخاذلا نتيجةتوزيع جهوده بين سواحل ليبيا وبين حرب البلقان مما يؤكد التوافق بين الجانبين عندما حرصت القوات البلقانية علي ضرب العثمانيين قبل وصول قواتهم الموجودة فى سواحل ليبيا .

وهكذا تم للبلقانيين انتزاع كل أملاك الدولة العثمانية فى أوربا ما عدا العاصمة استانبول ولولا جهود القائد مصطفى كمال فى حماية المضايق فى غاليبولى لما وقف الزحف البلغاري عند حد محاصرة أدرنة وقد انتهز أنور باشا الاتحادى نشوب الخلاف بين القيادات البلقانية فحاصر المدينة المحاصرة ودخل أدرنه دخول الفاتحين وسط تهليل وتكبير المسلمين.

---

(١) مصطفى الزين - مرجع سابق - ٣٨.

(٢) انظر أيضا الكتاب الأصفر -Colonel Lamauche - Opcit. p353 354

Livejaune , Affans Balkaniques, 1912, p.92.

معاهدة بوخارست والمرحلة قبل الأخيرة فى استقلال البلقان :

أنهت هذه المعاهدة فى أغسطس ١٩١٣ مراحل الحرب البلقانية حيث تقرر منح اليونان جنوب مقدونيا وميناء سالونيك وجزيرة كريت ، ومنح الصرب منطقة درواز وموناستر كما سلمت رومانيا إقليم دبروجه[١] الذى كان فى حوزة بلغاريا وخشيت البانيا المسلمة من الدخول فى معترك الصراعات الأوربية فأعلنت استقلالها الذاتى تحت حكم أمير البانى ولم يحقق السلم البلقانى الذى تم بموجب معاهدة بوخارست النتيجة المرجوة ولم يمنع وقوع صدامات جديدة فى البلقان . وكما يذكر السلطان عبد الحميد فى مذكراته أن كمية العداء والكراهية بين دول البلقان تفوق كراهيتهم للدولة العثمانية .[٢]

الصراع بين دول البلقان :

جاء بداية الخلاف من الحكومة النمسوية عندما طالبت الصرب بالولاء للأمبراطورية النمسوية مثلها كبلغارياومن الجانب الآخر كان المنهزمون فى الحرب البلقانية الأخيرة من الأتراك والبلغار يسعون لعقد تحالف بينهما ضد الصرب واليونان لاستعادة ما استقطع من اراضيهم فى بوخارست وسعوا لشن حرب انتقامية وإن رأت بلغاريا التريث بعض الوقت للاستعداد وطلب الملك البلغارى فردينا المساعدة من الوزير النمسوى للشئون الخارجية " ساعدونا وسنعترف لكم بالجميل ".

ولما كانت مسألة الصرب هى ما تشغل النمسا والمجر فقد طالبوها بأن تتعهد بالولاء وأما إعلان العداء رسميا ولم تتقدم أكثر من ذلك حكومة

---

(١) مصطفى الزين - مرجع سابق ص ٤٣.

(٢) مذكرات عبد الحميد الثانى ، إعداد محمد حرب كتاب الهلال - العدد ٤١٨ ص ١٦.

النمسا فى تهديدها فتشجعت الصرب وتكونت فى داخلها جمعيات نجحت فى إثارة اهالي البوسنة والهرسك وتزامنت مع هذه الأحداث أزمة مراكش بعد زيارة قيصر ألمانيا لمراكش وتأييده لسلطان المغرب فى المحافظة على استقلاله وهكذا تهيأت أوربا عسكريا ونفسيا للحرب ، وأضحى الموقف الدولى كما وصفه سفير ألمانيا فى باريس أوائل ١٩١٤" إن السلام تحت رحمة الأزمة المقبلة "(١) وبالفعل حدثت الأزمة عندما قتل ولى عهد النمسا وزوجته علي يد صربى من سكان البوسنة ومن أنصار جمعية اليدالسوداء فى يونيو ١٩١٤وقد سبقتها محاولة فاشلة قام بها بعض الصربيين عندما ألقوا بقنبلة على ولى العهد لم تصيبه وإنما أدت إلى إصابة مجموعة من المراقبين له وفى أثناء زيارة ولى العهد للجرحى نجحت المحاولة الثانية وأطلق الصرب الرصاص على ولى العهد وزوجته(٢) .

وارتفع الستار عن مجموعة متداخلة من اتجاهات استعمارية وخلافات عرقية وكبرياء قومى سياسى وتنافس دولى بكل أبعاده ووجد رئيس وزراء النمسا ووزير خارجيته برتشولد فى حادث مقتل ولى العهد ذريعة للاشتباك مع الصرب رغم تحذيرات رئيس وزراء المجر وتتابعت التحديات وأرسلت النمسا بإنذار إلى الصرب بشروط يصعب علي دولة مستقلة أن تقبلها كما أعلن ذلك السير إدوارد جراى رئيس وزراء بريطانيا ولكن سياسة النمسا استهدفت إنهاء كل تدخل روسى فى المنطقة بالقضاء على استقلال الصرب حتى لا يستمر مسلسل تقوية القوميات داخل الامبراطورية النمساوية ذاتها كما وأن سياسة الانتظار والحذر التى طالما اتبعها ساسة النمسا حيال

---

(١) Ragner Bobert. M. The Concice History of . Modern Europe 1789 -1914 London 1960. p. 34.

(٢) محمد حرب - البوسنة من الفتح حتى الكارثة - مرجع سابق - ص ٧٤،

روسيا لم يعد لها مكان الآن ، وهكذا اندفعت النمسا إلى ضرب بلجراد بعد أن رفض الصرب تنفيذ العقوبات وأعلنت روسيا التعبئة العامة، وحافظت انجلترا على السلام خلال فترة الإنذار ولكن بعد تحرك القوات الألمانية بقيادة فون كهل Kuhl من خلال غزو بلجيكا وانتشارها السريع(١) ، حتى أصبح واضحا أن غزو فرنسا هو الهدف الثانى بعد غزو بلجيكا ولوكسمبرج ودخلت بريطانيا الحرب فعليابعد ١١ يوما من الانذار النمسوى وسقوط ممر فيزيه Pont de fisie وأصبحت جبهة الحلفاء انجلترا وفرنسا وروسيا في مواجهة دول الوفاق ألمانيا والنمسا والمجر ، ولما كانت الدولة التى تسيطر على المضايق البحرية هى القادرة على إلحاق الضرر والعجز لروسيا(٢) ، فقد تراخت الدول المتحالفة فى مطالبة الأتراك بالحياد كما لم يتعجل الألمان اشتراكهم عسكريا واكتفوا منهم بدور إثارة الأمة الإسلامية وصرح البارون الألمانى فون فادنجهايم " إذا استطعنا أن نثير هذه الأمة ضد الإنجليز والروس أمكننا أن نرغم هاتين الدولتين على الاستسلام " ومن ثم تحركت تركيا فى أكثر من اتجاه لإثارة الشعوب المسلمة فنشرت سلسلة من الفتاوي كتبها شيخ الإسلام وهو صاحب أرفع منصب دينى فى الدولة ووزعت هذه البيانات على جميع الأقطار الإسلامية وبجانب الفتاوى صدر للألمان سيل من نشرات الدعاية الألمانية والعربية ولم يتخلف القوميون العرب عن المشاركة مثل الشيخ عبد العزيز جاويش ومحمد فريد رئيس الحزب الوطنى المصرى فى كتابة البيانات التى تحض العالم الإسلامى على التصدى للقوى الأجنبية المعادية بمختلف اللغات ووزعت فى مصر وفى

---

(1) Prelegede general Deberney Lamarche sur Paris 1914- Payot . Paris 1929.p. 32-33.

(2) Andre Mondelstion - Le Sort de L'empire Ottoman Payot . Paris 1914. p.552.

الهند والسودان وإيران وأفغانستان وتركيا وغيرهم ، وهكذا اندفع القوميون العرب لمؤازرة العثمانيين وغم عوامل الخلاف والفرقة الناشئة بينهم واعتراضهم علي أسلوب الاتحاديين فى التتريك والطورانية وتغليب العنصر التركى على كافة عناصر الدولة فجاء موقفهم الجديد وليد خوف من خطر أكبر تحسبوه وهو الاحتلال الأجنبى ويتشابه موقف القوميين ذلك مع موقف الزعيم المصرى مصطفى النحاس عندما وافق علي تولى رئاسة الوزراء فى مصر بعد أن طالبت القيادة البريطانية في مصر من الملك فاروق استدعائه لتولى الوزارة فى الفترة الحرجة المتمثلة في اقتراب دول المحور من الأراضى المصرية لضرب القوى البريطانية فيها فحرص الانجليز على الاستعانة بحكومة شعبية لفرض الاستقرار والهدوء فى المنطقة وإزاء الخطر الهتلرى المدمر لم يجد الزعيم المصرى أى حرج فى تولى الحكم على أسنة الرماح كمقولة الملك وحاشيته حماية للبلاد من خطر أكبر يتهددها بوصول الجيوش الألمانية .

الفصل الثانى

نهاية النفوذ العثمانى فى البلقان

اشتراك الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولي

جاء إعلان تركيا في نوفمبر ١٩١٤ الاشتراك فى الحرب بإغلاق مضيقى البسفور والدردنيل لقطع إتصال الحلفاء بروسيا، وكانت الحكومة التركية قد عقدت معاهدة سرية دفاعية مع ألمانيا فى ٢ أغسطس وهو نفس اليوم الذى أعلنت فيه ألمانيا الحرب على روسيا وتعهدت تركيا بموجب هذه المعاهدة بمساعدة الألمان ضد الروس حتى إنها أرسلت أسطولها فى ٢٩اكتوبر لضرب الموانى الروسية على البحر الأسود، وكانت بريطانيا قد ارتابت فى الاستعدادات العسكرية التى سبق للأتراك أن أجروها فى الجزيرة العربية فى مطلع سنة ١٩١٤ إثر التقارب العثمانى - الألمانى وخطورته فى التغلغل الألمانى داخل الامبراطورية العثمانية مع نهاية الحرب البلقانية وكانت تركيا فى مركز تستطيع فيه أن تهدد مصالح بريطانيا فى نقطتين هامتين بفضل استيلائها على الشام والعراق وأيضا تبعية مصر إليها وسيطرتها على قناة السويس من جانب وعلى رأس الخليج العربى من جانب آخر كما كان الأتراك يمكنهم اتخاذ مراكز عسكرية عديدة على طول ساحل البحر الأحمر لبث الألغام التى تدمر الأسطول البريطانى فضلا عن وجود حامية عثمانية فى اليمن.

وإزاء ذلك سارعت بريطانيا بتشديد قبضتها على اليونان بموافقة رئيس وزرائها فنريلوس بالرغم من معارضة الملك قسطنطين بعد أن صارت البلقان تحت سيطرة دول الوسط عدا منطقة سالونيك[1] وحرصت بريطانيا على منع زحف الأتراك نحو قناة السويس لإحكام سيطرتهم على البحر

---

(1) Driault EDAWRD, La question d'Orient 7 ed, Filex Algan 1917. p. 390

المتوسط وحتى لايضعفوا القوات البريطانية المرابطة عند القناة ومن ثم تضطر انجلترا لجلب فرق أخرى من المناطق الغربية فيخف الضغط هناك على الألمان (١) بالإضافة إلى عدم إطمئنان بريطانيا من موقف المصريين تجاه الدولة العثمانية فقد وجدت أجنحة متميزة من السياسيين تميل معنويا إلى جانب الدولة العثمانية التى تواجه خطر يتهدد وجودها كاملا، والمهم أصبحت استانبول أحد المحاور الهامة في مجريات الحرب سيما وأن سقوط المضايق فى يد الحلفاء سيؤدى إلي إجبار اليونان على الإنضمام فى صفوف الحلفاء وكذلك رومانيا وبلغاريا أى خروج أوربا الشرقية بأكملها من فلك تركيا بالإضافة إلي فتح الطريق أمام أطماع روسيا. ولذا دارت معارك غاليبولى بين الحلفاء والأتراك فى وحشية منقطعة النظير وقدم الأتراك ملحمة بطولية فذة فى مقاومة الأسطول الفرنسى والأسطول الإنجليزى وفى إحراز إنتصار على الحلفاء وتكبيدهم خسائر بشرية ضخمة مما آثار الرأى العام البريطانى وعارض مبدأ تعريض جنودهم فى منطقة شديدة القسوة في المناخ والتضاريس من أجل خدمة الجيوش الروسية وتوصيل المؤن إليها(٢) وقد تدخلت فرنسا في القتال من أجل استعادة كرامتها الوطنية واستخلاص منطقتى الإلزاس واللوبين من ألمانيا أما إيطاليا ذلك الفرع الفقير فى العائلة الأوربية فقد أعلنت الحياد الذى له ثمن أى التدخل مع الطرف الذى يتيح لها مكاسب أكبر بدون أن تشارك بقواتها العسكرية فقط.

وهكذا تتابعت أحداث الحرب الواقعة حتى قيام الثورة الشيوعية فى روسيا والإطاحة بالحكم القيصرى فيها وإنسحاب قواتها من المعارك

---

(١) لطيفة محمد سالم - مصر فى الحرب العالمية الأولي، الهيئة المصرية العامة ١٩٨٤ ص ٣١.

(٢) مذكرات السفير الأمريكى فى الاستانة ، مستر هنرى مرغنتو، تعريب فؤاد صروف - مطبعة المعظم ١٩٢٣، ص٢٤.

العسكرية وعقدها صلح برست ليتوفسك مع الألمان فى ٢مايو١٩١٨ بل والإعلان عن الإتفاقات السرية المبرمة مع الحلفاء لاستقطاع ولايات الدولة العثمانية ومنها الولايات التى وعدت بريطانيا وفرنسا عرب الجزيرة العربية بإستقلالها عن الدولة العثمانية ومنحها لهم.

وأيضا عقدت ألمانيا معاهدة مع بوخارست ورومانيا التى تنازلت فيها عن منطقة دبروجه لبلغاريا وكان مؤدى هذا زلزلة شديدة فى جناح الحلفاء لم يعوضه إلا مسارعة الولايات المتحدة بالاشتراك فى الحرب إثر نشوب حرب الغواصات التى اشعلتها ألمانيا للخروج من الحصار الإقتصادى الذى ساهمت فيها الولايات المتحدة بجانب الحلفاء منذ بداية الحرب فكان حيادها مشوبا بالميل نحو الدول الديمقراطية أى الحلفاء فى الحرب الدائرة وبذا إنتهى التقدم الألمانى الذى تم إحرازه فى المرحلة الأولى من الحرب ورجحت كفة الحلفاء.

ومايجدر ذكره الإشارة إلى دور الصهيونية العالمية والمستشارين اليهود الذين أحاطوا بالرئيس الأمريكى ودور ولسن فى دفع الكونجرس للموافقة على اشتراك الولايات المتحدة عسكريا فى الحرب ومن ثم توالت الخسائر على دول الوسط وكانت تركيا تحارب فى تسع جبهات حتى تمت الهزيمة وأعلنت تركيا استسلامها فى هدنة مودروس فى ٣ اكتوبر ١٩١٨ قبل أن تقرر ألمانيا عقد الهدنة بإحدى عشر يوما وشملت بنود هدنة مودروس على خلاف نظم القوانين الدولية للهدنة نقاط خاصة بالمضايق التركية وفتح بواغيز البسفور والدردنيل أمام سفن الحلفاء وتأمين المرور فى البحر الأسود بل وتسليم جميع السفن التركية وقام المنتصرون باحتلال القلاع المقامة على المضايق وهكذا حصلت بريطانيا والحلفاء عن طريق بنود الهدنة على ماعجزوا عنه بالقوات المسلحة وتوضح هذه الهدنة إلي أى مدى

كانت الرغبة في إذلال الدولة العثمانية حيث أطاحت بكل مظاهر سيادتها على أراضيها وعلى مياهها الأقليمية وكان تحقيق ذلك هدفا إستراتيجيا عملت له الدول العظمى لتحديد الورثة الجدد للدولة العثمانية(١)، وكان سقوط ألمانيا رسائل أوربية لألمانيا بأن التقدم فى الاستعمار والتاريخ يشبه التطور فى الطبيعة يبدأ بالتدريج ولا يبدأ بالقفز Neproce'de Pas par des sauts (٢).

معاهدة سيفر والمرحلة الحاسمة فى إنهاء الدولة العثمانية

حسمت هذه المعاهدة تجزئة الدولة العثمانية والاستقطاعات المتتالية منذ القرن الثامن عشر وقد أجل إبرام معاهدة سيفر حتى ابريل١٩٢٠ لأن المؤتمرين فى معاهدات الصلح عام ١٩١٩ لم يجدوا داعيا للتعجل فى مسألة تركيا على اعتبار أن هذه الدولة أصبحت وشيكة السقوط من تلقاء نفسها خاصة بعد الهجوم اليونانى لمواصلة الاستقطاعات من الأتراك بعد هزيمتهم العسكرية، وكانت بريطانيا على رأس المؤيدين لهذا الإتجاه فكانت تعد لإستراتيجية جديدة في هذه الدولة بإدخال طرف جديد فى الحرب وهو اليونان وكان نجاح تلك الخطة سيحقق لها وضعا مميزا فى تركيا بعد أن أعلنت الولايات المتحدة ابتعادها عن مؤتمرات السلم التى جرت على الساحة الأوربية ورفضت المشاركة في تكريس الأوضاع الدولية الجديدة أو مجرد تأييد بنود معاهدات الصلح المختلفة أو الموافقة على فرض الإنتداب الأمريكى على المناطق الشائكة فى أرمينيا أو فى تركيا مما أضعف معاهدات الصلح فى الواقع.

وما يعنينا فى بحثنا هذا تعيين الحدود التركية الجديدة التى تناولتها

---

(1) Edawurd Driault, oP. cit. P.416.
(2) OP . cit. P. 418.

معاهدة سيفر حيث استقطعت أدرنة ولم يبق لتركيا في القارة الأوربية سوى الروملى واستانبول، وتحدد خط شطلجة فى تركية أوربا ولم يستتطع من حدود تركية سوى المنطقة الجنوبية فى الشاطئ الجنوبى من أدرنة وشرقا جنوبى مرعش وديار بكر إلى الحد الشرقى فى جنوب غرب أرمينيا ويمتد الخط شمالا من أرمينيا حتى منطقة أراراط وفى الشمال الغربى حتى جنوب باطوم وبالنسبة لمنطقة أزمير فقد بقيت تحت السيادة الأسمية لتركيا مع بقاء حامية وقوة بوليسية يونانية وكذلك عنتاب وأجزاء من تراقيا الشرقية على حدود شطلجة الأمر الذى يتيح وجودا يونانيا لايبعد عن العاصمة التركية إلا بضعة أميال قليلة (١).

بالإضافة إلى ذلك شملت معاهدة سيفر نظام حكم مزدوج بين الحكومة التركية في استانبول وحكومة اليونان فأعطت كل منهما صلاحية الرقابة الدولية على حركة المرور بالمضايق وأغفلت المعاهدة وضع حكومة أنقرة التى حاربت اليونانيين فى أزمير وقامت بحركة جهاد شاقة ضدها وكانت المعاهدة بهذا تضع بذور فتنة تنشأ فيما بعد بين حكومة الاستانة وحكومة أنقرة برئاسة مصطفى كمال وكما أنهت المعاهدة كافة المعاهدات السابقة التى أقرت أوضاع الحدود التركية لتحقيق تسوية جديدة تحقق التوازن الدولى الجديد ومصالح الدول الكبرى مع إرضاء الجوانب القومية بقدر المستطاع وقد فرضت بنود معاهدة سيفر على الساحة التركية كافة وبدأت مرحلة الكفاح الوطنى إلى تحركات ناجحة وانتصارات حاسمة على اليونانيين مما اضطر الدول الأوربية إلى المطالبة بعقد مؤتمر لوزان وتثبيت أوضاع جديدة فى المناطق التركية.

---

(١) عبد العزيز محمد الشناوى - مرجع سابق - ص ٢٤٩-٢٥٠.

(2) D. D. F. Conference de Lausaue. P. 12.

معاهدة لوزان ونهاية الدولة العثمانية

وفى ٢٤يوليو١٩٢٣ بدأ مؤتمر لوزان أعماله، وتصدرت مسألة تسوية الحدود بين اليونان وتركيا مهام المؤتمر سيما فى منطقة تراقيا الشرقية وجاء إصرار المفاوض التركى على معاملتها بنفس أسلوب وضع تراقيا الغربية التى تسيطر عليها اليونان، والجدير بالذكر أن تراقيا الغربية كانت بأكملها تتبع الدولة العثمانية حتى ١٩١٣ وفى معاهدة سيفر منحت لليونان[1] ،ولذا أصر المفاوض التركى على بدء المحادثات من حيث انتهت المعاهدات القديمة قبل الحرب العالمية الأولى. كما أعلن المفاوض التركى أن منطقة كراجاش تدخل ضمن حدود تراقيا الشرقية حسبما تفسر اتفاقية مودانيا سنة ١٩٢٠ والتى أقرت دخول منطقة أندرينوبل على الشاطئ الشرقي لنهر المارتيزا وأيضا مناطق كوليكى وموجاس ومصطفى باشا التى يمر بها الخط الحديدى الذى يصل حتى استانبول.

وبالنسبة لدولة الصرب فقد طالب ممثلها بإقامة منطقة محايدة بطول الحدود شمال وغرب تراقيا الشرقية لتكون فاصلا بينهم وبين الأتراك واعترض الوفد التركى على إقامة هذه المنطقة المحايدة بإعتبار أن نهر المارتيزا يعد حدا طبيعيا وأصر الوفد الصربى على رأيه على اعتبار أن ذلك حيوى بالنسبة لكل من بلغاريا واليونان وتركيا واتجه للمؤتمر إلي ضرورة إعطاء بلغاريا منفذا على بحر ايجه ورأى بقاء تراقيا الغربية على وضعها السابق المحايد تحت إشراف الدول العظمى لأنها تتميز بوجود شبكة خطوط حديدية وأيضا وإنها تخدم تجارة الدول الشرقية كبلغاريا ورومانيا ويوغسلافيا. ونظرا لوجود الأقليات القومية متداخلة فى المناطق المتنازع

---

(1) IBID . P. 48.

عليها أصر الوفد التركى على أهمية إجراء استفتاء في تراقيا الغربية رغم تأكيد الوفد اليونانى على وجود أغلبية يونانية فيه ومن ثم قدم كل من الطرفين مايؤيد رأيه وأوضحت البيانات التركية بأن عدد الأتراك فى كل من الجازاس- وديداجاتش وسوفولو ٣٣٤٨١٤ نسمة والبلغار ٢٩٢٧٦ نسمة واليونانيين ٣٣٩٠٤ واليهود ١٤٨٠ (١) وأخذ كل من المفاوض التركى ونظيره اليونانى فى ترديد الأحقية التاريخية لكل منهما فى المنطقة وكيف أن الوجود اليونانى سبق الوجود التركى بعشرين قرنا بالمنطقة وأورد المفاوض التركى ما يخالف ذلك حسبما تقرر فى كتابات بعض المؤرخين مثل ماسبيرود فى كتابه "قضية شعوب الشرق" وفي كتابه الدكتور مورجان عن منطقة القوقاز حيث قرر أن سكان الأناضول من أساس تركى (٢).

علما أن الفلاح التركى هو صاحب الأرض دائما أما اليونان فإنه يعمل بحرفه التجارة ولم يتمكن من احتلال الأرض ولو بنسبة قليلة(٣) أما فيما يتعلق بتنازل تركيا عن تراقيا الغربية عام ١٩١٥ فأرجعه إلى أنه كان وليد ضغط أوربى لم يصدق عليه البرلمان التركى ومن ثم لايلزم المفاوض التركى فى لوزان. المهم تقرر فى معاهدة لوزان : إعادة تراقيا الشرقية بأكملها بما فيها ادرنه ومنطقة كراجاش وجزءا لايستهان به فى الجزء الغربى من الأناضول وتناولت المعاهدة موضوع جنسية الأتراك الذين يقيمون فى المناطق التركية المستقطعة حيث تقرر أن يصبحوا من مواطنى الموطن الجديد بالشروط المقررة في قوانين تلك الدول مع الاحتفاظ لمن لم يتجاوز عمره١٨عاما اختيار الجنسية التى يرغبها(٤).

---

(1) D.D.F. Op. cit. P.36.
(2) IBID P.32.
(3) IBID P. 33.
(٤) عبد العزيز محمد الشناوى - مرجع سابق ص ٢٩٣.

ونصت المعاهدة على حماية الأقليات وبالنسبة للتعويضات الحالية تنازلت تركيا عن حقها فى المطالبة بخسائر الحرب أما اليونان فقد احتفظت بهذا الحق، كما منحت المعاهدة الدول المنفصلة عن تركيا حق الاستيلاء على أموال الدولة التركية الموجودة بها. وتناولت المعاهدة المسائل الاقتصادية لحقوق وأملاك الدول الموقعة كما عالجت أيضا مسألة أسرى الحرب والأحكام الصادرة من السلطات التركية ومصالح رعايا تركيا منذ هدنة مودروس حتى لوزان[1] وكافة سجلات الادارات المدنية والقضائية والمالية والأوقاف. ونصت المعاهدة على منح مدارس الأقليات دون تدخل من الحكومة التى يجب عليها تمويل تلك المدارس، وأيضا التعهد بحماية المؤسسات الدينية وتعهدت تركيا ببقاء البطريركية اليونانية فى استانبول رغم أنها لم تكن مركزا دينيا فحسب وإنما كانت الحامية للمخططات الأوربية في المنطقة ومركزا لحفظ الأسلحة ، بل كانت أيضا مركزا للجاسوسية واشتعال الفتن، حتى أنها كان لها دور بارز في تشجيع ومساندة الجيش اليونانى فى احتلاله لأزمير سنة ١٩١٩.

وأغفلت المعاهدة تحديد حقوق الأقليات التركية فى الأماكن المستقلة من الدولة حيث ترك الآلاف منهم تحت رحمة اليونان والبلغار وغيرهم وضاعت تلك الحقوق عندما أعلن مصطفى كمال الحاكم الجديد لتركيا الحديثة أسلوبه فى السياسة الخارجية بمقولة سلام فى الداخل وسلام في الخارج وتبع ذلك بعقد أكثر من معاهدة مع الدول المحايدة لاقرار السلام واستمرت أوضاع المسلمين فى الدول الجديدة تتأرجح هبوطا وصعودا تبعا لنوعية الحكم في المنطقة.

---

(١) فاضل حسين - مرجع سابق ص ١٢.

(٢) ابراهيم الدسوقى شتا - الحركة الإسلامية في تركيا- الزهراء للإعلام العربى . ص٣٢.

أوضاع المسلمين فى البلقان تحت الحكم المسيحى

المسلمون فى بلغاريا :

كانت معاهدة برلين التى أنهت الحروب الروسية - التركية المعقودة فى ١٣ يوليو ١٨٧٨ بعد معارك استمرت قرابة سبعة شهور بمثابة شهادة ميلاد لدولة بلغاريا المستقلة وخضع المسلمون لحكم البلغار المسيحيين لأول مرة منذ أكثر من ٥٠٠ عام[١] وإنحسر الوضع المتميز لهم بعد استيلاء الحكومة البلغارية على املاكهم من أراض زراعية ومنازل وماشية وخلافه وكان الأتراك متفوقين على البلغار سواء فى العدد أو الجوانب المادية وكان أكثر من ٧٠٪ من الأراضي في حوزة الأتراك [٢] وكان يقيم فى ستة محافظات من إقليم الدانوب نحو مليون ومائة وثلاثين ألف بلغارى، ومليونا ومائة وأربعين ألفا من الأتراك، يوجد أربعمائة وثمانون ألف بلغارى فى سنجق بلوفديف وسعليقن في أدرنة مقابل ستمائة وواحد وثمانون ألف تركى [٣].

وتشكل منطقة ادرنه (ادرين) والدانوب مجموعة من الجزر ترتبط مباشرة بالعاصمة التركية استانبول سواء من البر أو من البحر وكانت لها أهمية اقتصادية (٤) وبعد استقلال بلغاريا استمرت الأغلبية التركية متفوقة حتى شرعت القوى الحاكمة في طرد اعداد ضخمة من المسلمين واستقدمت البلغار المقيمين خارج البلاد وكان البلغار لعدة قرون متوزعين بين بلغاريا ومقدونيا وتراقيا وكان النزاع المرير دائما بينهم وبين اليونان فى الجنوب

---

(١) محمد حرب - المسلمون فى آسيا الوسطى والبلقان - مرجع سابق ص ٣٨٧.

(2) Documents Diplomatiques Francaises op. cit. p.22.

(3) Bilal N. simsa, the turks of bulgaria/1870-1885 London 1984 p.5.

(4) IBID .

وبين الأتراك فى الشرق[١] وتمكن العنصر البلغارى من اغتيال حقوق وأملاك المسلمين [٢].

ولم تنسحب القوات الروسية أثر عقد معاهدة استقلال بلغاريا وواصلت بوحشية مطاردة الأتراك المسلمين بعامة فى بلغاريا ودفعتهم للخروج من ديارهم فهاجر في تلك الفترة مليون تركى، أما الذين بقوا فقد عانوا من التشرد والجوع وبلغت نسبة الوفاة بينهم أكثر من ٥٠٪ فى بعض المناطق مما صرف المهاجرين عن محاولة العودة إلى بلادهم بعد انتهاء الحرب وبذلك أضحى الاتراك فى بلغاريا يمثلون أقلية وإن استمروا يحافظون على نسبتهم العددية بسبب الزيادة الطبيعية بالإضافة إلى تمكن البلغار من ضم مناطق تركيه أخرى إلى دولتهم يقطنها اعداد ضخمة من الأتراك بجانب أقليات مسلمة مثل "الترتز"، "الجدبيس" و"البوماك" ولكن بسبب السياسة البلغارية المتعسفة بدأت نسبة الأتراك فى الإنخفاض منذ عام ١٨٧٨ وتمكنا أن نورد فى هذا المقام إحصائية بعدد الاتراك والمسلمين المقيمين فى بلغاريا من ١٨٧٨-١٩٥٦.

---

(١) جرانت ووتمبرلى - أوربا في القرن التاسع عشر والعشرين ١٧٩٨-١٩٥٠ ترجمة بهاء فهمى - مراجعه أحمد عزت عبد الكريم - مؤسسة سجل العرب ص ٢٦٩.

(٢) محمد حرب - المسلمون في آسيا الوسطى ودول البلقان ، المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى ص ١٩٤. سنة ١٩٩٣.

مراحل تذويب الاقليات التركية والمسلمة فى المجتمع البلغارى

مرت الأقلية التركية والمسلمة فى ثلاث مراحل متميزة من سياسات الحكومات البلغارية المتعاقبة.

أولا: فى الفترة من ١٨٧٨-١٨٨٦ وهى الفترة الانتقالية لانفصال الدانوب وادرين أو الروملى الغربى عن الامبراطورية العثمانية وقد خول القانون الجديد للدولة بالسيطرة والإشراف على كافة أنشطة الأقلية المسلمة سواء في المجال الدينى أو التعليمى أو السياسى وتفاوتت صور التدخل حسب تزايد تفرد الادارات المحلية وفي المجالات التعليمية حرمت المدارس التركية من مصادر تمويلها الخارجية سوى من بعض تبرعات الأتراك المقيمين فى الدولة بينما حظيت المدارس البلغارية بالعون المادى والثقافى من المنظمات المسيحية الأوربية (١).

وأيضا من الحكومات البلغارية ومن الجدير بالذكر أن الروملى الغربى كان يحظى في العهد العثمانى بإصلاحات عديدة في الادارة والتعليم المتطور ونظرا لما تتمتع به هذه المناطق من أهمية استراتيجية فهى تمتد من الدانوب إلي البلقان، كما حصل ذلك الإقليم أيضا على نصيب وافر من الاصلاحات السياسية التى دعا إليها بعض رجال العهد العثمانى الذين يسمون بالمستنيرين والذين تلقوا تعليما اوربيا أمثال رشيد باشا الصدر الأعظم ومدحت باشا(٢) حيث افتتح منذ عام ١٨٥٣ وعلى فترة ثلاث سنوات فقط ثلاث مدارس ثانوية تركية تسمى مدارس رشدى متخذة من النهج الأوربى أسلوبا وكان هذا خطوة متقدمة بالنسبة لمقاييس ذلك

---

(1) IBID . P. 16.

(٢) قدرى قلعجى - مدحت باشا أبو الدستور العثمانى وخالع السلاطين دار العلم للملايين ص ٥.

السنة	الأتراك	المسلمون الآخرين
١٨٨٧	٦٠٢٣٣١	٦٧٦٢١٢
١٨٩٢	٥٩٦٧٢٨	٦٤٣٢٥٨
١٩٠٠	٥٣٩٦٥٦	٦٤٣٣٠٠
١٩٠٥	٥٠٥٤٣٩	٦٠٣٠٨٤
١٩٠١	٥٠٤٥٦٠	٦٠٣٥٨٤
١٩٢٦	٥٧٧٥٥٠	٨٢٥٧٧٤
١٩٣٤	٦١٨٦٢٨	٨٢١٩٩٨
١٩٥٦	٦٦٥٠٨٢	؟

ونجد فى المقابل زيادة مضطردة فى اعداد البلغار فى نفس الفترة:

سنة	البلغـــار
١٨٨٢	٢ مليون نسمة
١٨٨٧	٣ مليون نسمة
١٨٩٣	٣ر٣٠٠
١٩١٠	٤ر٣٠٠
١٩٢٦	٥ر٤٠٠ (١)
١٩٥٦	٧ مليون

(1) Bilal N. simsa. Opcit. P.5.

	مدارس ابتدائية	مدرسون	تلاميذ
الأتراك	١٢٤٣	١٤٠٤	٦٩٦٣٦
البوماك	٢٥	٣٨	١٣٤١٣
الترتزز	١٦	١٨	٦٧٩
	١٢٨٤	١٤٦٠	٧٢٠٢٨

وبعد أحداث الحرب العالمية الأولى وتوقيع معاهدة نويللى فى ١٧ نوفمبر ١٩١٩ بشأن بلغاريا وتنازلت عن غرب تراقيا التى كانت قد استولت عليها من تركيا عام ١٩١٣ وكانت منفذها الوحيد المباشر على البحر، كما تنازلت عن ثلاثة مناطق هامة من أراضيها ليوغسلافيا بجانب بعض التغييرات فى حدودها مع اليونان(١) وهكذا وضع بعض البلغار تحت سيطرة الصرب وأضحت هذه المناطق التى تم نزع سلاحها بالكامل منطقة لحرب العصابات بعد اشتعال الصدامات بين القوميات والكنائس المختلفة وفى عام ١٩٢٨ أخذت المنظمات الثورية المقدونية التى كان مقرها فى بلغاريا بشن هجمات لحماية البلغار فى مقدونيا من إضطهاد اليوغسلاف ولم تعترض حكومة صوفيا على خروج هذه الهجمات من دولتها وكانت بلغاريا، بحكم كونها الخصم المباشر ليوغسلافيا فى مقدونيا مكانا ملائما للتحركات اليونانية والدبلوماسية الإيطالية أيضا فرفضت فى أغسطس ١٩٢٨ الإنضمام إلي الطلب الذى قدمه ممثل بريطانيا وفرنسا فى صوفيا

---

(١) عبد العزيز سليمان نوار - تاريخ أوربا الحديث والمعاصر -= مرجع سابق ص ١٤٧.

العصر(١) فازدهرت تلك المدارس عن مثيلتها من المداس التركية التى بقيت على أحوالها القديمة.

وبعد انفصال بلغاريا عن الدولة العثمانية تلقت النظم التعليمية للمدارس التركية عدة ضربات متتابعة لإضعافها وهدم معدل النمو الاصلاحى الذى جرى خلال ٣٠-٤٠ عاما من الحكم العثمانى ومن ثم جاء تطبيق بنود معاهدة برلين مجافيا للواقع تماما فأغفلت المعاهدة النظر إلى أهمية المداس الخاصة أى مدارس الاتراك تفرقة لها عن المدارس الحكومية البلغارية وبالتالى لم تنل مدارس الأتراك أى اهتمام من جانب الحكومة البلغارية فواجهت انهيارا في العشر سنوات المذكورة نتيجة للهجرة الجماعية التى بلغت ٢٥ ألف مهاجر فى فترة ستة شهور وأيضا لخضوع بلغاريا نحو عام كامل بعد نهاية الحرب التركية - الروسية لسيطرة الروس حتى تم الاستيلاء على الروملى الشرقى الذى كان يتبع الدولة العثمانية ومن ثم تدهورت البنية التعليمية للأتراك ولم يتمكنوا من إنشاء أى مدارس جديدة أو حتى ترميم ماهدم منها(٢).

وفى الفترة من ١٨٨٦- ١٨٩٤ حصل الأتراك على بعض الحقوق الدينية والاجتماعية فبدلت بعض الجهود فى العناية بالأحوال الإقتصادية والتعليمية وتتضمن إحصائية عام ١٨٩٦ الخاصة بالمدارس أعداد التلاميذ والمدرسين بها:

---

(1) IBID . P. 7.
(2) IBID . P. 15.

لدعوة حكومة بلغاريا إلى حل المنظمة الثورية المقدونية .

وفى هذه السنوات لم يكن النفوذ الألمانى خلالها قد استعاد قوته أصبحت المصالح المتعارضة لفرنسا وايطاليا هى التى توجه خط سير المنافسات الدولية في المنطقة الدانوبية والبلغارية[١] وكانت ايطاليا قد استغلت فرصة خلو الساحة فى المنطقة الدانوبية من أهم قوتين كانتا موجودتين وهما النمسا وألمانيا بعد هزيمة ١٩١٤ فسعت إلي اقامة إشراف لها على بحر الأدرياتيك لتحقيق مصالح إقتصادية وسياسية واستراتيجية سيما فى عهد حكم موسولينى الذى رأى أن استتباب السلم في البلقان سيتيح لايطاليا حرية العمل في مصالح حيوية أخرى[٢] ومن ثم أخذت الدعايات الايطالية تبدى احتقارها ليوغسلافيا الممزقة بالصراعات الدينية والسياسية بين الكروات والصرب، ولما كانت المشكلة بين بلغاريا واليونان تتمثل في مقدونيا فإن الأقليات المسلمة عانت فى تلك الفترة من التنظيمات الثورية التى وجهت سهامها إلى المسلمين أثناء صراعها مع اليونان كما اتبع الحزب الفاشى بعد وصوله للحكم فى بلغاريا أثر الانهيار الإقتصادى والإفلاس السياسى والهزيمة الألمانية وخروج الدول الديمقراطية مثخنة بالجراح مما ولد العجز عن التصدى لإمتداد الحزب الفاشي فى بلغاريا ومخططاته الإرهابية ضد المسلمين كالتهجير التعسفي وإذابة من تبقي منهم فى المجتمع البلغارى[٣] مع الحرص في ذات الوقت على الإستفادة من الأيدى العاملة المسلمة فى بلغاريا وإن حرموهم من صرف رواتبهم بسهولة وأيضا أجبروهم على تغيير أسمائهم المسلمة بأسماء نصرانية، ومن وسائل

---

(١) بيير رنوفان – تاريخ العلاقات الدولية – مرجع سابق – ص ٣٢٦.
(٢) المرجع السابق – ص ٣٢٢.
(٣) محمد حرب – مرجع سابق – ص ١٩٤.

ذلك رفض تسجيل أسماء التلاميذ المسلمين فى المدارس إلا بعد تغييرها إلي أسماء نصرانية كما شمل الإضطهاد منع دفن الموتى المسلمين حسب المراسيم الإسلامية ومنع المسلمين من الاحتفال بأعيادهم الدينية والإستمرار في غلق المساجد ومعاقبة معارضى تلك السياسة بالسجن والتعذيب بل والقتل الجماعى في الجبال بالرصاص وتعقب زعمائهم فى كل مكان كما عاد التدخل الحكومى يعرقل خطوات التعليم التركى، وهذا بيان يوضح نسبة الإنخفاض فى الفترة من ١٩٢١-١٩٤٣ (١).

السنة الدراسية	المدارس الابتدائية	المدارس العالية	المجموع
١٩٢١ - ١٩٢٢	١٦٧٣	٣٩	١٧١٢
١٩٢٢-١٩٢٩	٩٢	٢٧	٩٩٤
١٩٣٠-١٩٣٧	٣٩٧	٢٧	٥٤٥

وقد استمر معدل الإنخفاض حتى وصل عام ١٩٤٧ إلي ٣٧٧ مدرسة، وصدر قانون نص على دعم المدارس المسلمة عن طريق زيادة الضرائب الخاصة بهم، وعلى ضرورة تدريس اللغة البلغارية بجانب اللغة التركية خاصة في مادتى التاريخ والجغرافيا بالإضافة إلي تسهيل السماح للطلبة الأتراك بالتحويل إلى المدارس البلغارية بشرط النجاح في المواد البلغارية.

وهكذا تمكنوا من غلق العديد من المدارس المسلمة وتحولت أعداد منها إلي البلغارية وأودع المدرسون المسلمون المعارضون السجون بتهمة الخيانة

(1) IBID . P. 17.

والولاء للنظام الكمالى الحاكم في تركيا[١]، ولم تتوقف معاناة الأقلية المسلمة حتى نشوب الحرب العالمية الثانية والافتقار إلى الإستقرار السياسى فى بلغاريا بعد وفاة الملك بوريس Boris ووصول سيمون الثانى للعرش بمعاونة مجلس وصاية وبدأت الصحافة البلغارية الاشارة إلي الصداقة التاريخية التى تربط الأمة البلغارية بروسيا وان لم تتقدم أكثر من ذلك رغم دعوة الاتحاد السوفيتى المستمرة للدول الخاضعة لألمانيا إلي التعامل معه وبينما طالب الحلفاء كلا من بلغاريا ورومانيا بالتزام الحياد فإضطرا إلي تجميد سياستها خوفا من ابدال نظام فاشى بنظام شيوعى.

الحرب العالمية الثانية ونتائجها على أحوال مسلمى البلقان

حتى عندما كانت الجيوش الألمانية تحتشد على أبواب البلقان وتتأهب للإنقضاض على دولة إتفقت تركيا وبلغاريا على احترام كل منهما سيادة الأخرى [٢] فى سنة ١٩٤١ إلا أن بلغاريا لم تحترم الإتفاق وأعلنت إنضمامها إلى المحور مفسحة المجال أمام الجيوش الألمانية لدخول المناطق الإستراتيجية فى أراضيها رغم خطورة ذلك على الأتراك، وعندما احتلت ألمانيا كلا من يوغسلافيا واليونان عقدت تركيا معاهدة صداقة مع الألمان تعهد فيها هؤلاء بإحترام سلامة الأراضى التركية كما إضطرت تركيا إلي عقد معاهدة مع الاتحاد السوفيتى عندما إجتاحت قوات هتلر أراضيه فخشيت تركيا أن يقدم ستالين بدوره بتهديد المضايق التركية بينما سعى الحلفاء لجذب الأتراك لجانبهم معلنين ما يسمى بالحلف الكبير وأعلن روزفلت الرئيس الأمريكى أن تركيا تدخل ضمن الدول التى تقدم المساعدات وكان عصمت إينونو خليفة مصطفى كمال فى الحكم قد حافظ على استمرار السياسة الكمالية فى تجنب الصراعات الدولية حتى أنه قيل

(١) مصطفى الزين مرجع سابق - ص ٢٥٩.

(2) IBID. P. 28.

أن الحلفاء عرضوا على الأتراك منحهم تراقيا القريبة بعد اقتطاعها عن اليونان وأيضا بعض الأراضي البلغارية إذا ما وافقت تركيا على المشاركة فى أحداث الحرب العالمية الثانية، ولذلك سعى الحلفاء إلي طمأنة عصمت إينونو بالنسبة لجانب الإتحاد السوفيتى بأن الدول الشيوعية لاتسعى للتوسعات الاستعمارية ولذلك لن تقدم على غزو الأراضى التركية والمضايق البحرية ولكن نظرية إينونو تحققت عندما استولى ستالين على أوربا الشرقية التى استمرت مشدودة إلي عجلة الكرملين[١] حتى إنهيار الاتحاد السوفيتى أخيرا، وقد وعدت البولشفية الشيوعية عند استيلائها على بلغاريا وانهائها الحكم الفاشيستى الأقليات المسلمة بمراعاة أوضاعها باعتبار الشيوعية لاتعترف بكافة الأديان ولاتفرق بالتالى بين مسلم ومسيحى ودعت الجميع إلى التقدم بمطالبهم ومقترحاتهم [٢] بشأن اقرار الوضع المناسب وبالرغم من حذر المسلمين من التطورات المنتظرة من الحكام الجدد إلا أنهم سارعوا بالإعلان عن مطالبهم وبدأوا بالفعل في استرجاع بعض الحقوق فنشطت دور الاعلام وصدرت بعض الصحف التركية وسمح بعقد الندوات والمؤتمرات فعقد مؤتمر الزراعيين البلغاريين في صوفيا سنة ١٩٤٥ وأصدر توصياته كالتالى:

(١) بقاء المدارس التركية الخاصة مع دعمها ماديا بواسطة الحكومة.

(٢) أن تكون الدراسة باللغة التركية بجانب بعض المراجع البلغارية.

(٣) أن يكون مدير ورؤساء المدارس التركية من الأتراك.

(٤) ضمان الحقوق الاجتماعية للمدرسين كنظائرهم من البلغار الاستفادة من التأمينات الاجتماعية وبعض المزايا الاستثنائية.

---

(١) مصطفى الزين – المرجع السابق ص ٢٦٠.

(2) IBID P.31.

(٥) مراعاة المساواة الكاملة بين المدارس التركية والبلغارية بأن يكون لخريجيها الحق فى دخول الجامعات البلغارية بدون إجراء امتحانات معادلة.

(٦) ان تتضمن الدراسة المقررات الدينية الإسلامية.

(٧) أن يتملك الأتراك المدارس والأرض المقامة عليها.

(٨) تعطي المدارس التركية التسهيلات فى الحصول على مستلزماتها وتعفى من الضرائب، كما يجب أن يتوفر فى المدارس المستوى الصحى المناسب.

(٩) أن يتم افتتاح مدرستين لتدريب المدرسين الاتراك.

كما طالب المؤتمر بإرجاع المدارس التركية التى استولى عليها الحكم الفاشى كما أعلن المؤتمر ضرورة رد أموال الأتراك المصادرة من سنة ١٩٢٣ حتى سنة ١٩٤٤ وانتهى المؤتمر ولم تتقدم أحوال الأتراك في بلغاريا واستمروا كمواطنى درجة ثانية ولم تستمر الاتجاهات الطيبة التى أيدتها الحكومة الشيوعية كثيرا فسرعان ماخرج الرئيس الشيوعى البلغارى جورجى ديمتريوف بمبدأ وجوب تحجيم دور الأتراك فى البلقان وفى ضربة واحدة عام ١٩٤٦ تم تحويل المدارس التركية إلى مدارس بلغارية قومية وبذا انتهت مرحلة امتدت إلي مائة عام من نظام المدارس الخاصة التركية وسيطرت الحكومة البلغارية على تعليم الأتراك ثم وجهت الضربة الثانية للأقلية التركية عام ١٩٥٨-١٩٥٩ عندما صدرت القرارات الحكومية ببلغرة المدارس التركية وأصبحت اللغة البلغارية هى الوحيدة التى تدرس وحرم الأطفال الأتراك من تعلم اللغة الأم ودفع بأكثر من ١٥٠ ألف طالب تركى للتعلم بالبلغارية.

واستعادت الحكومة الشيوعية الأساليب الفاشية فى إجبار الأتراك على الهجرة إلى تركيا فوصلها بين عام ١٩٤٩-١٩٥١ نحو ١٥٦ ألف تركى ثم ١٣٠ ألف فى المدة مابين ١٩٦٩-١٩٧٨ على أن الكثافة التركية السابقة لم تنقص لأن الهجرة كانت من جانب الزيادات فحسب طبقا لإحصائية عام ١٩٥٦[١] وبمجرد إدراك هذه الحقائق الموثقة في الإحصائيات سعت الإدارة الحاكمة إلي اتخاذ أساليب أخرى لتذويب الأقلية التركية في المجتمع البلغارى بالإغراء بالدعم الحكومى والتأمينات الاجتماعية وقد استمرت سياسة البلغرة مع الحفاظ ظاهريا على شعور الأتراك حتى جاءت دعوة رئيس الدولة البلغارية تيودور جيكوف بضرورة طبع الكتب التركية فى بلغاريا ولايسمح استيرادها من الخارج . وبالفعل تم جمع المطبوعات التركية وأصولها وحرقها تنفيذا لقرارات الدولة . ومن المؤسف أن الحكومة البلغارية كانت تدعى دائما صداقتها لدولة تركيا رغم الانتهاكات الحادة لحقوق الأقلية التركية ، ومنذ عام ١٩٨٠ اشتدت عملية تغيير الأسماء وأعلنت الحكومة عام ١٩٨٤-١٩٨٥ الحرب على الأقلية التركية فاستخدمت كل وسائل القهر لإنجاح المخطط وطردت الأتراك من أعمالهم الحكومية إذا ما احتفظوا باسمائهم الإسلامية وأجبرت النساء على الابتعاد عن الزى الإسلامى وأن يلبسن كبقية البلغاريات[٢] وثارت جموع الأتراك ونددوا بالفاشية الحمراء وبالقتلة مصاصى الدماء وغيرها من النعوت التى تدين النظام الحاكم [٣] وواجهت الحكومة المظاهرات بزيادة الاجراءات القمعية وأودع الآلاف السجون ووقف العالم مترقبا لما ستسفر عنه الأمور فى مواجهة مجموعة من المعاهدات الدولية التى عقدتها دولة البلغار. وتحترم

(1) IBID P. 33.

(٢) محمد حرب - مرجع سابق ص ٣٨٩.

(3) IBID p. 36.

فيها حقوق الأقليات الدينية السياسية بالإضافة إلى أن هذه المعاهدات نصت على حق دولة تركيا في أن تتدخل فيما يخص الأقلية التركية لدى الدولة البلغارية ليس لأسباب دينية وتاريخية فحسب ولكن أيضا لأسباب سياسية قانونية وقد ورد هذا فى معاهدة برلين عام ١٨٧٨. وفي بروتوكول استانبول عام ١٩٠٩ وفي معاهدة ٢٩ سبتمبر ١٩١٩ وفي معاهدة الصداقة التركية= - البلغارية عام ١٩٢٥ وفي معاهدة الزراعيين عام ١٩٤٧ وأيضا وثيقة حقوق الإنسان ١٩٤٥-١٩٧٥ بل واتفاقية الهجرة بين تركيا وبلغاريا عام ١٩٦٨ (١) وهكذا نجد فى سلسلة اضطهاد الأقلية المسلمة وضوح تجاهل النظام الحاكم البلغارى القوانين الدولية للتخلص تماما من الأتراك بعد أن ثبت أن أسلوب التهجير قد فشل فى تنفيذ مخططاتهم ولم يتمكنوا من توصيل عدد الأتراك إلي رقم الصفر في بلغاريا وإزاء ذلك تصاعدت أصوات رجال السياسة والاعلام تطالب بعودة الأقلية التركية بالكامل إلى وطنها الأم بدعوى أن الهجرات التركية دائما كانت تتجه صوب تركيا في كل الظروف ولم تتجه مثل كثير من هجرات الشعوب إلي العالم الجديد فى أمريكا أو استراليا بالإضافة إلى أن أتراك بلغاريا كانوا دائما وأبدا لايستنكرون أن يقال عنهم أنهم جزء من شعوب الأناضول.

رد فعل حكومة أنقره

تحركت الأوساط الشعبية والرسمية فى تركيا لمواجهة مؤامرة البلغرة بالقوة للأتراك . ففي ٧ يناير ١٩٨٥ أبلغ مستر يلمظ وزير الدولة التركية بالإجراءات التعسفية السابقة فأعلن استعداده لاتخاذ كافة الإجراءات اللازمة لوقف تعدى حكومة البلغار وطالب الأقلية التركية بالتزام الهدوء أطول فترة ممكنة.

---

(1) IBID . P. 31.

وفى ٢٥ يناير من نفس العام أعلن متحدث باسم وزارة الخارجية التركية بأن المشكلة المطروحة مازالت تحظى بتأييد الدولة وأن الجهود اللازمة قد اتخذت بالفعل لحل مشكلة الأتراك الذين وصل عددهم فى بلغاريا حوالى مليون ومائة ألف تركى وبعث الرئيس كنعان ايفرين برسالة شخصية إلي الرئيس البلغارى تيودور جيكوف ولم تتوقف الصحافة التركية عن نشر بيانات وتصريحات الحكومة في هذا الشأن ، وفضحت جريدة "ملت" التركية ماترتكبه السلطات البلغارية وأعلنت أن الحكومة التركية تحرص علي حل المشكلة مع الحفاظ على العلاقات الرسمية البلغارية .وفى ١٤فبراير ١٩٨٥ أعلن رئيس الوزراء التركى تورجوت أوزال أثر اجتماع له مع رئيس الجمهورية بأنه لن يتأخر عن فتح أبواب تركيا لاستقبال أشقاء الدم فى بلغاريا وفى ٢٠ فبراير أعلن المجلس الوطنى الكبير فى أنقره بأنه قد تمت مناقشة وضع الأشقاء في الدم فى جلسة سرية انتهت بضرورة إجراء مفاوضات على أعلى مستوى مع الجانب البلغارى وأن ذلك لايعد تدخلا في شئون بلغاريا بأى حال ثم صدر بيان حكومى تركى فيما يتعلق بالاهتمام بأتراك بلغاريا ورعايتهم وفيما يتعلق بما نشر فى تقارير الوكالات الرسمية للأنباء العالمية التى تفيد أنه فى الشهور الأخيرة اتخذت إجراءات عنيفة تكاد تصل لحد القتل الجماعى مما يشكل عدوانا لايمكن التغاضى عنه (١) وطالب حكومة بلغاريا بالرد رسميا على هذه الاتهامات الموثقة وللأسف جاءت الردود البلغارية تتسم بالبرود واللامبالاة حتى أنها وجهت لتركيا الإتهام بأنها تتدخل فى شئونها الخاصة ورفضت طلبها الخاص بهجرة الأتراك البلغار إليها وبدا واضحا أن الحكومة البلغارية مصممة على السير

---

(1) IBID . P. 31.

فى بلغرة الأتراك والقضاء عليهم حتى النهاية مما اضطر الرئيس التركى إلي التصريح فى مقر الجمعية التركية - الأمريكية بواشنطن بأنه مالم يتوقف التعنت البلغارى فسوف ينظم حملة عالمية للتشهير بأسلوب حكمهم وتأليب العالم الحر عليه لانتهاكه مبادئ حقوق الإنسان وعمت المظاهرات الشعبية والطلابية كل أنحاء تركيا صائحة "الجيش إلي صوفيا" وقام ٣٠٠ طالب من جامعات استانبول بالإضراب عن الطعام دفعا للحكومة التركية إلي إنقاذ مسلمى بلغاريا ومن الجانب الآخر قبضت السلطات البلغارية على مجموعة من البلغاريين تظاهروا احتجاجا علي أعمال حكومتهم أمام السفارة الفرنسية كما أعلنت حكومة باكستان مشاركتها تركيا قلقها من أجل مسلمى بلغاريا.

وفى أوربا أدان جيتسا ادينولفى وكيل الأمين العام للمجلس الأوربى في مؤتمر صحفي له فى باريس الظلم البلغارى للأتراك المسلمين كما صرح جوكلارك وزير خارجية كندا عن استيائه من تصرفات بلغاريا الشيوعية(١)، وحقيقة الأمر لم يتوقف إضطهاد الأتراك في بلغاريا حتى بعد أن انهارت النظم الشمولية الشيوعية والدكتاتورية فى العالم. وإذا كانت هناك أصوات من الغرب من الذين يرفعون شعارات حقوق الإنسان والرحمة والإنسانية إلا أن ما يحدث لا تنهيه تلك الشعارات كما أنه ليس تهجير المسلمين البلغار إلي تركيا يعتبر حلا قانونيا لأن القانون الدولى يضع بنودا خاصة بأوضاع الأقليات العرقية والدينية بما يكفل لها حقوق المواطنة ويحميها من تعنت الأغلبية ولا توجد دولة سواء في الشرق أو الغرب لاتعيش فيها أكثر من أقلية سكانية سواء دينية أو عرقية أو عنصرية، كما وأنه بعد سقوط الشيوعية في الاتحاد السوفيتي وانهيار توابعها فى أوربا الشرقية لم يتوقف

(١) محمد حرب - المسلمون فى اسيا الوسطى والبلقان - مرجع سابق ص ١٩٢.

اضطهاد الحكام الجدد للمسلمين وإن خفتت الأصوات الأوربية التى سبق أن إحتجت على الحكم الشيوعى ونددت بسياساته المجحفة بالأقليات مما يؤكد أن الاتجاهات الإنسانية السالف بيانها كان لها أسبابها السياسية المختلفة أما الآن فقد تدخلت عوامل أخرى تدفع الأوربيين للتغاضى عن هول ما يعانيه المسلمون من حكامهم المسيحيني.

المسلمون فى البوسنة والهرسك تحت الحكم المسيحى

بعد انسحاب الأتراك من البوسنة والهرسك بعد حكم استمر أربعة قرون إنضمت المنطقة إلي امبراطورية النمسا حيث بدأ القهر النمسوى للمسلمين وانصرفت الجهود إلي تهجير الأتراك وبدأ الدور الفعلي لعداء الرأى العام الأوربى للدولة العثمانية وللأتراك والمسلمين فى الولايات البلقانية.

ولما كانت معاهدة ١٨٧٨ قد نصت على بقاء ولاية البوسنة تحت الحاكمية العثمانية على أن تحتلها وتديرها النمسا ومعنى هذه المادة خروج ولاية البوسنة من الامبراطورية العثمانية ولكنه في عام ١٩٠٨ أعلن فرانسو الأول امبراطور النمسا بيانا بضم البوسنة والهرسك إلي بلاده فى نفس اليوم الذي أعلن فيه فرديناند أمير بلغاريا ووالى ولاية الروملي نفسه ملكا على بلغاريا وتلقب بقيصر البلغار ، وإزاء التعنت النمسوى فى حكم المسلمين قام أحد البوسنويين على فهمى جابيح بالاحتجاج على حكومة النمسا وانضم إليه الصرب الأرثوذكس الذين رأوا في النفوذ النمسوى عرقلة لطموحاتهم فى إنشاء صربيا الكبرى التى تضم الصرب والبوسنة والهرسك والجبل الأسود وكانت النمسا ماتزال تنظر إلى الصرب كإحدى ولايات الإمبراطورية النمسوية ، وتمكن المسلمون من الحصول على بعض

الامتيازات الدينية في ١٥ ابريل ١٩٠٩ وبعد الحرب العالمية الأولى وما نتج عنها من هزيمة وتفسخ الامبراطورية النمسوية التى قامت من خلالها دولة يوغسلافيا وجمعت بين أكثر من قومية عرقية دينية فأصبحت دولة مركبة من الصرب والكروات والبوشناق، ولما كانت هذه القوميات قد عاصرت على مدى تاريخها الطويل نظم سياسية مختلفة للدولة العثمانية ثم النمسا والمجر ومن قبلها الامبراطورية البيزنطية الأرثوذكسية فانتشرت تبعا لذلك فى هذه المناطق عادات وتقاليد متباينة فضلا عن الاختلافات الدينية فكان الصرب من الأرثوذكس والكروات كاثوليك والبوشناق مسلمين حتى قامت دولة يوغسلافيا ومعناها اللفظى السلاف الجنوبيين.

ومضت سياسة الدولة الجديدة فى نفس اتجاه دولة بلغاريا ورومانيا فى إضطهاد المسلمين واتخاذ أسلوب التهجير للتخلص منهم.

كما اضطرت الدولة لتهدئة القوميات المختلفة بتقسيم الدولة إلي أقاليم ذات نوع من الحكم المحلى فتكونت جمهوريات فيدرالية : للبوسنة والهرسك، كرواتيا، الجبل الأسود- الصرب- سلوفينا- مقدونيا.

واستطاع المسلمون فى ذلك المناخ تأسيس حزب إسلامى يوغسلافى عام ١٩١٩ برئاسة الدكتور/ محمد سباهو الذي تولى رئاسة الحكومة اليوغسلافية فترة زمنية مابين الحربين العالميتين وكادت أحوال المسلمين تستقر حتى تم تتويج الملك الكسندر الأول عام ١٩٣١ على الصرب الكروات الذي شرع فى اضطهاد المسلمين حتى انتهى الأمر بإغتياله في مارسيليا بفرنسا وجاء خلفه بطرس الثانى الذي كان صغير السن تحت الوصاية، وانشغلت الدولة بالصراع مع بلغاريا التى تساندها ألمانيا فسعت للتقارب مع حكومة تركيا وتم عقد معاهدة بشأن تهجير مسلمى يوغسلافيا نظير

تعويضات مالية رغم احتجاج هؤلاء المسلمين على مبدأ مغادرتهم بلادهم ولذلك انتهزت السلطات اليوغسلافية حادث قتل محافظ سابق يدعى "يوشكوبوسكوفيتش" على مقربة من مدينة كولاشين فاتهمت المسلمين بقتله وأقامت مذبحة رهيبة حيث قتل أكثر من ٦٠٠مسلم(١)، من النساء والأطفال وهرب بقية الأهالى من المسلمين من قريتى شاهوفيتش وبافيتو بوليه وعددهم ١٢٠ أسرة و٤٠٠ شخص بدون أسرة.

ووضعت الحكومة خطة لتهجير أعداد ضخمة من المسلمين إلا أن اشتعال الحرب العالمية الثانية حال دون تنفيذ المخطط الأجرامى وقد انتهز الأرثوذكس ظروف الحرب للتنكيل بالمسلمين بل إنهم مع نهاية الحرب وتحت شعار الإصلاح الزراعى صادروا جميع أراضى المسلمين وأعطوها للفلاحين الأرثوذكس(٢). وقضى المسيحيون على المدارس والكتاتيب وقاموا بهدم الكثير من المساجد وإقامة منشآت كمسارح ونوادى للخيل في أماكنها وحتى مقر البرلمان اليوغسلافى نفسه كان مسجد بشار الذي كان أجمل مسجد فى بلجراد، وفندق بالاس قد بنى على أنقاض مسجد(٣) وهلم جرا والمسجد الوحيد الذي نجا من التحطيم بقى لأنه كان أول مسجد بنى فى بلجراد فأعطته الدولة لهيئة الآثار ومن المعروف أن بلجراد في القرن السابع عشر كانت مدينة إسلامية زاهرة وعندما زارها الرحالة التركى "أوليا چلبى" سنة ١٦٠٠ كان سكانها مائة ألف نسمة ثلاثة أرباعهم من المسلمين وكان (٤) بالمدينة ٢٧٠مسجدا و٨ مدارس ثانوية إسلامية و١٧ تكية والعديد من الكتاتيب القرآنية.

---

(١) محمد حرب – البوسنة والهرسك من الفتح حتى الكارثة – مرجع سابق – ص ٧٧.

(٢) محمد حرب – مرجع سابق – ٧٦.

(٣) المرجع السابق – ص ٧٦.

(٤) المرجع السابق – ص ٧٥.

ويشكل المسلمون في يوغسلافيا أكبر جماعة إسلامية فى أوربا على الإطلاق والمسلمون في البوسنة يبلغون ٤٥٪ من مجموع السكان وتعتبر بوسنة سراى أوكا يطلق عليها الغرب سراييفو عاصمة الإسلام فى يوغسلافيا وتضم مجلس العلماء المسلمين في يوغسلافيا ومقر جماعة إسلامية هامة ويوجد بها حوالى ٩٠ مسجدا، والمسلمون في يوغسلافيا عام١٩٨٠ بلغوا ٤ر٥ مليون مسلم (١).

سيطرة الشيوعيين على الحكم واستمرار معاناة المسلمين

لم تكن منطقة يوغسلافيا ذات نشاط شيوعى بين الحربين العالميتين وقد خلت تماما من الشيوعيين رغم جهود ستالين في تكريس الإحساس بالدور السوفيتى فى حماية بلجراد من الألمان حتى نجح في إيصال جوزيف بروز تيتو إلي حكم يوغسلافيا كبداية للنظام الشيوعى فى البلاد(٢) وبدأ حكمه باضطهاد المسلمين بينما حظى الكروات بتأييد حاكم ألمانيا آنذاك هتلر وقامت دولتهم فى حمايته بين عامى ١٩٤١-١٩٤٤، ومرة أخرى عادت الدولة الشيوعية الروسية فى اللعب بالورقة الرابحة والتدخل في منطقة البلقان عن طريق عملائها التقليديين من الصرب سيما وأن الكروات كانوا منضمين لألمانيا وقد أثارت أعمال هتلر الانتقامية من اليهود بمشاركة الكروات أن اندفع هؤلاء إلي تدعيم الصرب ضد الكروات وافتعل اليهود العديد من المذابح لاثارة الرأى العام تذكية لجهودهم فى إنشاء دولة إسرائيل في فلسطين، هذا وقد استغل الشيوعيون العداء بين الصرب والكروات والتنافس بين كنيستهما لكى يبسطوا السيطرة الشيوعية كما تقرب كل من الفريقين المتنافسين نحو المسلمين في البوسنة والهرسك

(١) المرجع السابق – المسلمون فى آسيا الوسطى والبلقان – ص ٢١٥.

(٢) محمد حرب – المسلمون فى آسيا الوسطى والبلقان – مرجع سابق ص ٢١٩.

لإستقطابهم إلي جانبه وتفاوتت نسبة عداوة الفريقين للمسلمين فكان الصرب أكثر عداوة من الكروات نظرا لأن الكروات كانوا يتبعون الامبراطورية النمساوية منذ فترة طويلة بعكس الصرب الذين رزحوا قرونا طويلة تحت حكم الدولة العثمانية مما أوغر صدورهم ضد مسلمى البوسنة وقد أدي التصادم بين الكروات والصرب إلي إنهاء تفوقهما العددى كحزب واحد في مواجهة المسلمين عندما تعذر استقطابهم لأى من الطرفين فاضطروا إلى الاعتراف بالقومية البوسنوية المسلمة.

وأصبح المسلمون بذلك أكثرية فشكلوا عام ١٩٦٧ ٤٢٪ من عدد السكان وقد حصل المسلمون على رئاسة المجلس الفيدرالى كما أصبح لهم رغم العقبات ٦٥ مدرسة ابتدائية و٥ مدارس ثانوية و٧ مدارس لتدريب المعلمين وانتشرت المساجد في جميع القرى البوسنية وفى سراييفو وحدها كان هناك أكثر من ٧٠ مسجدا ولأن الحكومة الشيوعية كانت تعادي جميع الأديان لا أن الحماية النمسوية على الكروات كانت تخفف من ضغط الشيوعية عليهم وكذلك الحماية التقليدية لبريطانيا على الصرب حمتهم من اضطهاد الحكم الشيوعى وتعرض البوسنويين فقط للضغوط الشيوعية المختلفة لابتعاد الدول الإسلامية عن مؤزرتهم فقد حفلت تلك الحقبة بضغوط دولية واستعمارية على الدول العربية ومن اسف سارت الدول العربية بعيدا عن مضمون الدولة الاسلامية وانساقوا وراء المخططات الأوربية والصهيونية وأصبح التوجه الاسلامى نوعا من الرجعية والتأخر بينما حظيت العنصرية الصهيونية بتأييد العالم واتهموا مخالفيهم بالعداء للسامية ولم يتورع الرئيس تيتو من التقرب وإقامة علاقات صداقة مع الكثير من القيادات الإسلامية والعربية ويتذكر المؤرخ محمد حرب انه أثناء وجود جمال عبد الناصر لحضور أحد المؤتمرات فى بلجراد بشأن عدم الانحياز

وغيره من الشعارات السياسية وقف تيتو ودعا المجتمعين إلي الوقوف حدادا على مقتل متهم شيوعى مصرى فى أحد السجون المصرية مما دفع الرئيس المصرى إلي اعلان جهله بهذا الأمر واستنكر مبدأ استخدام العنف مع الشيوعيين في مصر ودون أن يحاول أن يسأل بدوره عن هول المذابح التى تقع على المسلمين فى البوسنة تحت حكم الرئيس تيتو(١).

كما اتجه الحكم الشيوعى إلي سلفنة المسلمين بالاضطهاد الثقافي بمنع الدين الاسلامى عن المدارس وتشويه الكتب الدينية بكتابات ذات مفهوم ماركسي بالإضافة إلي الاضطهاد والتعذيب الجسدى فى السجون المظلمة(٢).

وهكذا لم يجد الشباب المسلم مخرجا في يوغسلافيا اما أن يجارى التيار ويعتنق الكاثوليكية أو الارثوذكسية أو يتجه إلي الشيوعية ويأخذنا كل هذا أن نلمس الفوارق الشاسعة بين حكم المسلمين العثمانى السابق فى البلقان وكيف كان المجتمع الاسلامى يأخذ بالمبادئ الرئيسية لعقيدته فى حماية حق ممارسة العقيدة الدينية واحترام الاتفاقيات والعهود الدولية.

أما بشأن الممارسات العدائية للحكم الشيوعى فى مجالات التعليم والثقافة ومصادرة الكتب التركية فقد استندوا إلي أن الرأسماليين ينشرون الدعاية الرأسمالية فى كتب الحساب والرياضيات وكما حدث فى بلغاريا فقد تعرضت المدارس والمساجد للنهب وعندما حدث زلزال عام ١٩٦٦ في يوغسلافيا لم تسمح السلطات بترميم المساجد التى تهدمت وفي عام ١٩٧٢ أعادت الحكومة للمسلمين بعض مساجدهم ومدارسهم كمدرسة الأمير خورشيد التى انشئت في بوسنة سراى منذ ٤٥٠ عاما ويدرس بها ٣٠٠ طالب العلوم الدينية واعترفت كذلك الدولة إزاء الصراعات المتواصلة بين الكروات والصرب بالمسلمين كقومية خاصة وان لم تسمح لهم رغم ذلك بأية

---

(١) محمد حرب – المسلمون فى اسيا الوسطى وفي البلقان – مرجع سابق ص ٢١٥.

(٢) المرجع السابق ص ٢١٨.

انشاءات عمرانية جديدة(١).

وقد يثور التساؤل هل تنظر الدولة إلي المواطنين البوسنويين كأتراك مسلمين أم كسلاف اعتنقوا الدين الاسلامى وتزاوجوا مع الاتراك فإن حسم هذه النقطة يوضح أهمية التحامل السلافي والاوربى بصفة عامة نحو مشكلة مسلمى البوسنة والهرسك فإمكانية السيطرة على العناصر العرقية المختلفة من الممكن أن تتم اذا ازدادت قوة احداهما أما السيطرة على المعتنق الدينى خاصة الاسلام صعب تحقيقه ويمكن القول بأن الصراع ضد البوسنة ليس صراعا جنس أو قومية إنما هو صراع دينى بكل أبعاده (٢).

وفى إحصائية عام ١٩٧١ كانت أعداد المسلمين فى جمهورية يوغسلافيا كالآتى:

الجمهورية	عدد المسلمون	نسبتهم المئوية
البوسنة والهرسك	١ر٤٥١ر٠٠٠	٤١ر٥٪
ولاية قوصوه	١ر٠١٠ر٠٠٠	٨٠٪
مقدونيا	٤١٨ر٠٠٠	٢٥٪
صربيا	٣٠٠ر٠٠٠	٦ ٪
كرواتيا	١٢٤٠٠٠	٣٪
الجبل الأسود	١١٩٠٠٠	٢٢٪

وأيضا نعرض جدول تزايد عدد مسلمى البوسنة:

سنة ١٩٣١	١٩٥٣	١٩٧١	الزيادة
البوشناق(١ر٠١١ر٠٠٠)	١١١٧٠٠٠	٢٢٣٠٠٠	١٠٠٪(١)

(١) محمد حرب – البوسنة من الفتح ص ٨١.

(٢) جريدة الاهرام – الجمعة ١٥ ابريل ١٩٤٤– أحمد بهجت – مقال " اسطورة بارزة" ص٢.

(٣) محمد حرب – البوسنة من الفتح حتى الكارثة – ص ٨٠.

المراجع العربية:

١- إبراهيم زرقانة : الجغرافيا الإقليمية للعالم الإسلامى ، تركيا - الدراسات الإسلامية - دار المشرق العربى.

٢- أحمد عبد الرحيم مصطفي : أصول التاريخ العثمانى ، دار الشروق ، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٣.

٣- أرنست ارامزور : ثورة تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ ، ترجمة صالح العلى، مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٠٦ ، قدم له وراجعه نقولا زيادة.

٤- أميرة كامل الخربوطلى : الدور السياسي للعسكريين فى تركيا، رسالة ماجستير، إشراف د/فتح الله الخطيب، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة ١٩٧٢.

٥- بول كولز: العثمانيون فى أوربا- تعريب عبد الرحمن الشيخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣.

٦- بيير رينو : مستقبل الشرق الأوسط، المكتب التجارى للطباعة.

٧- جلال يحيى : تاريخ العالم العربى الحديث، منشأة المعارف الاسكندرية.

٨- جلال يحيى : معالم التاريخ الحديث.

٩- جلال يحيى : أوربا المعاصرة ، المكتبة الجامعية ١٩٧٤.

١٠- جلال يحيى : التاريخ الأوربى الحديث والمعاصر، المكتب الجامعى الحديث ١٩٨٣.

١١- جلال يحيى : نصر مهنا، مشكلة قبرص، دار المعارف، ١٩٨١.

١٢- جمال حمدان : العالم الإسلامى المعاصر، عالم الكتب.

١٣- جرانت وتمبرلى : أوربا في القرن التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩-١٩٥٠، ترجمة جمال فهمى ، مراجعة أحمد عزت عبد الكريم ، مؤسسة سجل العرب ١٩٧٩.

١٤- حسين لبيب : تاريخ المسألة الشرقية، مطبعة الهلال القاهرة، ١٩٣١.

١٥- ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، جامعة الدول العربية ، بيروت ، ١٩٦٥.

١٦- عبد العزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨.

١٧- على حسنى الخربوطلى : أجواء جديدة على تاريخ العالم الإسلامى ، معهد الدراسات الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٨.

١٨- على ماهر : القانون الدولى، مطبعة الاتحاد ١٤٥٠و١٩٣٤.

١٩- عمر طوسون (الأمير) : الجيش المصرى فى الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم ١٨٥٣-١٨٥٥.

٢٠- فاضل حسين : محاضرات عن معاهدة لوزان ، معهد الدراسات العربية.

٢١- قدرى قلعجى : مدحت باشا أبو الدساتير وخالع السلاطين ، دار العلم للملايين.

٢٢- لطيفة محمد سالم : مصر فى الحرب العالمية الأولى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤.

٢٣- لوردوديق دقونياسون : أناضوليا إصلاحات ، سوريا مسئلة ، ترجمة راغب رفقى ، ناشرى إعتماد كتبخانة .

٢٤- محمد فؤاد كوبريلى : قيام الدولة العثمانية ، الألف كتاب الثانى ١١٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٣.

٢٥- محمد رفعت : محمد حسن حسونة : معالم التاريخ من العصور الوسطى ، مطبعة مصر القاهرة ج١.

٢٦- موفق بن المرجة : صحوة الرجل المريض ، مؤسسة صقر للخليج والطباعة والنشر بالكويت ١٩٨٤ ط ١.

٢٧- محمد حرب : البوسنة والهرسك من الفتح حتى الكارثة - المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى ١٩٣٩.

٢٨- محمد حرب : المسلمون في آسيا الوسطى ودول البلقان، المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى ، ١٩٩٣.

٢٩- محمد حرب : المسلمون المفترى عليهم ، مجلة العربى الكويتية العدد ٢٤٤.

٣٠- محمد صفوت : الاحتلال الإنجليزى لمصر وموقف الدول الأوربية إزاءه.

٣١- محمد غنيم : لب التاريخ ، القاهرة ١٣٠٧.

٣٢- محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، دار الثقافة والنشر، القاهرة ١٩٧٦.

٣٣- محمد محمود السروجى : مصر والمسألة الشرقية ، مطبعة المصرى ، ١٩٦٦.

٣٤- محمود ثابت الشاذلى : دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية ١٢٩٢-١٩٢٣، مكتبة القاهرة.

٣٥- نجيب صالح : تاريخ العرب السياسي ، ١٨٥٦-١٩٥٦، دار إقرأ، ١٩٨٠.

٣٦- هربرت فيشر : أصول التاريخ الأوربى الحديث من النهضة الأوربية حتى الثورة الفرنسية ، دار المعارف.

المذكرات :

- مذكرات السلطان عبد الحميد الثانى ، إعداد محمد حرب، كتاب الهلال العدد ٨٤.
- مذكرات السفير الأمريكى بالاستانة ، مستر هنرى فرغنتو ، تعريب فؤاد صروف ، مطبعة المقطم ١٩٢٣.

الدوريات:

- جريدة الوفد ، ربيع الأول ، ١٤١٥-١٩٩٤.
- جريدة الأهرام ، ١٥ ابريل ١٩٩٤.

المراجع الأجنبية :

1- Andre' Mondelstion;le ssort de L, empire Ottoman; paayot-paris, 1914.

2- Bila N.simsa ; the turks of Bulgaria, 1878-1885. London 1984.

3- Driault Edawrd ; La Question d'orient 7 ed ; Filese Algan 1914.

4- Prelage general Deberney ; la marche sur paris ; payot-paris 1929.

5- Colonel lamoucche ; Histoire de la nouvelle Turquie. paris.

6- Livre jaune ; Affaires Balkaniques 1912.

7- Lieutenant colonel Malterne ; L'Armee jeunes Turkues ; Bevues de sciences politques 1914.

8- Documents :

الوثائق غير المنشورة

Documents Diplomatiques Francaises Cenference et protocole de Lausane 1922 - 1923.